

المعمرون والوصايا

ابو حاتم السجستاني

To PDF: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)

## نص الكتاب

قال الشيخ أبو حاتم سهل بن عثمان السجستاني ذكر أبو عبيدة، وأبو اليقظان، ومحمد بن سلام الجمحي، وغيرهم أن أطول بني آدم عمرا الخضر، واسمه خضرون بن قاييل بن آدم عليه السلام. وقال ابن إسحاق، حدثنا أصحابنا، أن آدم عليه السلام لما حضرته الوفاة جمع بنيه، وقال لهم: يا بني، إن الله منزل على أهل الأرض عذابا، فليكن جسدي معكم بالمغارة، حتى إذا هبطتم فابعثوا بي، وادفوني بأرض الشام. فكان جسدهم معهم.

فلما بعث الله تعالى نوحا عليه السلام ضمّ ذلك الجسد، وأرسل الله تعالى الطوفان على الأرض، زمانا فجاء نوح عليه السلام، حتى نزل ببابل، وأوصى بنيه الثلاثة، وهم سام، ويافث، وحام، أن يذهبوا بجسده إلى المكان الذي أمرهم أن يدفنوه فيه.

فقالوا: الأرض وحشة، ولا أنيس بها، ولا نهندي الطريق، ولكن نكفّ حتى يأمن الناس، ويكثرُوا، وتأنيس البلاد، وتجنّف.

وقال لهم نوح عليه السلام: إن آدم قد دعا الله أن يطيل عمر الذي يدفنه إلى يوم القيامة؛ فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذي دفنه، وأنجز الله له ما وعده، فهو يحيا إلى ما شاء الله أن يحيا.

وعاش نوح النبي صلى الله عليه وسلم ألفا وأربعمائة وخمسين سنة؛ ذكر ذلك بن أبي زياد علي بن أبي عياش العبدي عن أنس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما بعث الله نوحا إلى قومه بعثه وهو ابن خمسين ومائتي سنة، فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وبقي بعد الطوفان خمسين سنة ومائتي سنة، فلما أتاه ملك الموت قال، يا نوح يا أبا كبر الأنبياء، ويا طويل العمر، ويا مجاب الدعوة، كيف رأيت تادنيا؟ قال: مثل رجل بنى له بيت، له بابان، فدخل من واحد، وخرج من الآخر.

وقد قيل دخل من أحدهما، وجلس هنيئة، ثم خرج من الباب الآخر.

قالوا: وكان أطول الناس عمرا بعد الخضر لقمان بن عاديا الكبير، عاش خمسمائة سنة وستين سنة، عاش عمر سبعة أنسر، عاش كل نسر منها ثمانين عاما، وكان من بقية عاد الأول.

حدثنا أبو حاتم قال، قال أبو الجنيد الضرير، أخبرنا بذلك الحسين بن خالد، عن سلام، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن محمد بن إسحاق وغيره، فأما غير الحسين، فذكر أنه عاش ثلاثة وخمسمائة سنة؛ واله أعلم أي ذلك كان.

"وكان من وفد عاد الذين بعثهم إلى قومهم إلى الحرم ليستسقوا لهم، وكان أعطى من العمر عمر سبعة أنسر، فجعل يأخذ النسور الذكور، فيجعله في الجبل الذي هو في أصله، فيعيش النسور منها ما عاش، فإذا مات أخذ آخر، فرباه حتى كان آخرها لبُد، وكان أطولها عمرا، فقيل: طال الأبد على لبُد. وقال ذلك لبيد بن ربيعة الجفري من بني كلاب:

ولقد جرى لبُد، فأدرك جريه  
ريبُ الزمان وكان غيرَ متقلِّ

وقال لبيد أيضا:

لما رأى لبُد النسور تطايرت  
من تحته لقمان يرجوا نهضة  
رفع القوادم كالفقير الأعزل  
ولقد رأى لقمان ألا يأتلي

وقال الضبي:

أو لم ترَ لقمان أهلكه  
وبقاء نسرٍ كلما انقرضت  
ما أفتات من سنةٍ ومن شهرٍ  
أيامه عادت إلى نسرٍ

وقال الأعشى:

لنفسك إذا سبعة أنسرٍ  
فعمّر حتى خال أن نسوره  
إذا ما مضى نسر خلوت إلى نسرٍ  
خلود وهل تبقى النفوس على الدهر؟

وقال

لأدناهنّ إذا حلّ ريشه  
هلكت، وأهلكت ابن عاد، وما تدري

قال، وأعطى من السمع والبصر على قدر ذلك، وله أحاديث كثيرة.

وقال الديباني:

أمست خلاءٍ وأمسى أهلها احتملوا  
أخنى عليما الذي أخنى على لبُدٍ

قال أبو حاتم: أخنى، أفسد.

قالوا: وكان من بعد سطيح، وُلد في زمن السَّيل العرم، وعاش إلى ملك ذي نواس، وذلك نحوًا من ثلاثين قرنا، وكان سكنه البحرين؛ وزعمت عبد القيس أنه منهم؛ وتزعم الأزد أنه منهم؛ وأكثر المحدثين يقولون، هو من الأزد، ولا ندري ممن هو، غير أن ولده يقولون: إنهم من الأزد.

قالوا: وكان المعافر بن يعفر بن مرّ بعد هذين، فمات، فلما حضره الموت حفروا له حفيرة، وبنوا له بيته "يعني قبره" فأخذ صخرة فكتب فيها:

ولست من ذي يمنٍ بقرُّ

أنا المعافر بن يعفر بن مر

لكنني مضريُّ حُرُّ يقول: لست منهم ذا أصل، يقول: أنا يماي الدار.  
وأنشد لطفة:

فتناهيتهُ وقد صابت بقرُّ

فوجد في زمن سليمان بن داود، فكشف عنه، فوجد فيها "في الحفيرة" ووجد عبده الكتاب.  
وقالوا: خرج رجل من قريش قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم، فركب البحر، فانكسرت سفينته،  
فوقع في جزيرة في أرض لا يرى بها أنيسا، فبينا هو يطوف في تلك الجزيرة إذا هو بشيخ كبير مجتمع  
العلم، فقال: من أنت؟ قلت: رجل من العرب.  
قال: من أيّ العرب؟ قلت: رجل من قريش.  
قال: بأبي وأمي قريش، وأين مساكنها اليوم؟ قلت: بمكة.  
قال: فهل خرج محمد بعد؟ قلت: وما خروج محمد؟ قال: فقصص عليّ كيف يكون خروجه، وأخبرني أنه  
نبي، وأنه سيخرج، فإذا خرج فأتبعه وقصص أمره، ثم قال لي: أعالم أنت بمكة؟ قلت: نعم.  
قال: فهل تعرف مكانا يقال له "المطابخ"؟ قلت: نعم.  
قال: أفتردي لم سُمّي المطبخ؟ قلت: لا.  
فقال: إن جيشين منا تواعدوا للقتال، فتزل أحدهما شرقي الجبل، ونزل الآخر غربيه، فنحرننا فيه الجُرُّ من  
جانبيه جميعا، فسمي بنا المطبخ.  
ثم قال: هل تعرف مكانا بمكة يقال له "القعيقعان"؟ قلت: نعم.  
قال: فهل تدري لم سُمّي قعيقعان؟ قلت: لا قال: فإنت لما خرجنا من المطبخ للقتال، فاجتمعنا بذلك  
الجبل، فاقتتلنا فيه، وقعقعا السلاح، سميناه قعيقعان.  
ثم قال: هل تعرف فيها بقعة يقال لها "فاضح"؟ قلت: أجل، نعم.  
قال: فهل تدري لم سُمّي فاضحا؟ قلت: لا.  
قال: فإننا تناجزنا، فاقتتلنا قتالا فضح بعضنا بعضا، فسميناه فاضحا.  
ثم قال: هل تعرف فيها موضعا يقال له "أجباد"؟ قال: قلت، نعم.  
قال: فهل تدري لم سُمّي أجبادا؟ قلت: لا.  
قال: فإننا لما أتينا على جريدة خيل، فاقتلعت فيه الخيل، ليست فيها رجالة، سُمّي أجبادا لجياد الخيل.

ثم انصرف عني إلى الروضة.

فقلت: يا عبد الله، سألتني فأخبرتكَ، فأخبرني، من أنت؟ فألتفت إلي، فقال مجيباً:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا  
بلى، نحن كنا أهلها، فأزلنا  
أنيس، ولم يسمُر بمكة سامر  
صروف الليالي والجدود العواثر

فظننا أنه الحارث بن مضاخ الجرهمي، مدّ له عمره إلى ذلك اليوم؛ وبعضهم يقول، شيخ من جرهم.  
قالوا: وكان من أطول من كان قبل الإسلام عمرا ربيع بن ضبيع بن وهب ابن بغيض بن مالك بن سعد  
بن عدى، ابن فرارة، عاش أربعين وثلاثمائة سنة، ولم يُسلم.  
وقال لما بلغ مائتي سنة وأربعين سنة:

أصبح مني الشبابُ قد حَسَرَا  
ودعنا قبل أن نودَّعه  
ها أنذا قبل أمل الخلود وقد  
أبا مري القيس هل سمعت به  
أصبحت لا أحمل السلاح ولا  
والذئب أخشاه إن مررت به  
من بعد ما قوة أُسرُّ بها  
إن ينأ عني فقد ثوى عُصرا  
لمأ قضي من جماعنا وطرا  
أدرك عقلي ومولدي حُجرا  
هيهات طال ذا عمُرا  
وأحشى الرياح والمطرا  
أصبحت شيخا أُلج الكبرا

وقال لما بلغ مائتي سنة:

ألا أبلغ بني بني ربيع  
فإني قد كبرت ودق عظمي  
وإن كنانتي لنساء صدق  
فأشرار البنين لكم فداء  
فلا تشغلکم عنى لبنساء  
وما آلى بني وما أساءوا

ويروى: وما آلى، والتألية، التقصير: ومن قال، وما آلى، فالمعنى، ما أقسموا ألا يروني.

حدثنا أبو حاتم قال، حدثنا أبو الأسود النوجشجاني، عن العمري، عن أبي عمرو الشيباني قال، سألتني  
القاسم بن معد عن قوله: ما آلى بني وما أساءوا.

قلت: أبطئوا.

قال: ما تركت في المسألة شيئا.

ورجع إلى بقية الشعر:

فإنَّ الشَّيخَ يهدمُهُ الشتاءُ  
فسربالٌ خفيفٌ أو رداءُ  
فقد أودى المسرَّةُ والفتاءُ

إذا كان الشتاءُ فادفنونِي  
فأما حين يذهبُ كُلُّ قُرٍ  
إذا عاش الفتى مائتينَ عاما

ويروى، فقد ذهب التخييل والفتاء؛ والفتاء مصدر الفُتَى.  
وقالوا: إن معاوية أتى برجل من جرهم، فقال: ما أسكنك هذه البلدة؟ فقال: خرج قومي من مكة،  
فخرج أبي نحو الشام، فلم أزل فيها.  
قال: كم أتى عليك؟ قال: أربعين ومائة سنة.  
قال: فمن أنت؟ قال: من جرهم.  
قال: كذبت، لست منهم.  
قال: فكيف تسألني إذن؟ قال: كم أتى عليك من الزمان؟ قال: كالذي أتى عليك.  
فظن معاوية، أنه يعني هللكه، فقال كذبت.  
قال: فكيف رأيت الدهر؟ قال: سننات بلاء، وسننات رخاء، ويوم شبيه بيوم، وليلة شبيهة بليلة، يهلك  
والد، ويخلف مولود، فلولا الهلاك لامتلأت الدنيا، ولولا المولود لم يبق أحد.  
قال: فهل رأيت أمية؟ قال: نعم، يقود ذكوان عبده.  
فقال: كف، فقد جاء غير ما ذكرت.  
قال: فأي المال أفضل؟ قال: عين حرارة في أرض خوارة.  
قال: ثم مه؟ قال: فرس في بطنها فرس، يتبعها فرس، قد ارتبطت منها فرسا.  
قال: ثم مه؟ قال: عد أيام السنة ضأنا أضمن لصاحبها الغنى.  
قالوا: وعاش الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة ابن تميم عمرا، ثم مات في  
آخر الزمان، وقد كان له حَمَامٌ بالحيرة، فقال الأضبط:

والمُسَى والصبح لا فلاح معه  
لا تملك من أمره الذي وزعه  
أنحى عليه، وأمره فجعه  
حبل، وأقص القريب إن قطعه  
من قرَّ عينا بعيشه نفعه

يا قوم، من عاذري من الخدعة  
ما بال من غيِّه مصيبكا  
حتى إذا ما انجلت عمائتُه  
وصلِ وصل البعيد ما وصل  
واقبل من الدهر ما أتاك به

قالوا: وعاش المستوغر بن ربيعة بن كعب ثلاثا وثلاثمائة سنة، وقال قوم، ثلاثمائة وثلاثين سنة، وقال في ذلك:

ولقد سئمت من الحياة وطولها  
وعمرت من عدد السنين مئينا  
رئة حدثها بعدها مائتان لي  
وعمرت من عدد الشهور سنينا  
هل ما بقى إلا كما قد فاتنا  
يومٌ يمرُّ وليلةٌ تحدونا  
بقى، يريد، بقى، وهي لغة. وأنشد:  
اقاذعتُ كعباً ما بقيتُ وما بقى

وقال المفضل: عاش زمانا طويلا، وكان من فرسان العرب في الجاهلية، وكان رجل من فتيان قومه يجلس إليه، وكان لذلك الرجل صديق، يقال له، عامر، وكان الفتى يقول لعامر، إن امرأة المستوغر صديقة لي، وهو يطيل الجلوس، فأحب أن يجلس معه، حتى إذا أراد القيام تئاءبت، ورفعت صوتك بالثوباء حتى أسمعوا أنصرف من عندها من قبيل أن يفجأنا ونحن على حالنا تلك. وإنما كان الفتى صديقا لأم عامر، فأراد أن يشغله بحفظ المستوغر، فيخالف الفتى إلى أم عامر، فيكون معها، حتى إذا سمع الثاوب يخرج.

فظن المستوغر لعامر وما يصنع، فاشتمل على السيف، وجلس حتى إذا لم يبق غيره وغير عامر قال: ألا ترى والذي أحلف به، لئن رفعت صوتك لأضربنك بالسيف فسكت عامر، فقال له المستوغر: قم معي. فقاما إلى بيت المستوغر، فإذا امرأته قاعدة بزيتها، فقال: -هل ترى من بأس؟ قال: ما أرى بأسا. قال المستوغر: فانطلق بنا إلى أهلك فانطلقا، فإذا هو بالفتى متبطنا أم عامر معها من ثوبها. فقال له المستوغر: انظر إلى ما ترى؛ ثم قال: لعلي مضلل كعار. قال أبو حاتم: وإنما المثل: حسبتي مضللا كعامر، فذهب قوله مثلا. وإنما سمي المستوغر لأنه قال في الشعر:

ينش الماء في الربلات منها  
نشيش الرّصف في اللبن الوغير

والعافية خلف من الواقية، وستساق إلى ما أنت لقي. أراي غنيا ما دمتُ سويا، إن رمت الحاجزة فقبل المناجزة، عاداك من لاحاك، خلّ الوعيد يذهب في البيد، إنك لا تبلغ بلدا إلا بزاد، لا تسخر من شيء فيحور بك، إنك ستخال ما لا تنال "يريد أنك ستسمى ما لا تقدر عليه، والمعنى، أنك تظن كل يوم أنك تبقى إلى غد، وتظن الغد أنك تبقى إلى بعد الغد، وذلك ما لا يكون".

ربّ لائمٍ مليمٍ، لا تحرف بما لا تعرف، وإذا تكلفت غيِّ الناس كنت أغواهم، ليس من القوة التورط في الهوّة، وإلى أمّه يخرج من لهف، جدك لا كدك، اسع بجد أو دع، إن بعد الحول أولاً، وإن مع اليوم غدا، وإن أخاك من آتاك "يريد واتاك"، ومن يطل ذيله ينتطق به، إن أخوا الظلم أعشى ياليل، ومن حظك موضع حقك، لا تلزم أخاك ما ساءك، ومن خير خير أن تسمع بمطر، وناصح أخاك الخير وكن منه على حذر، ولّ الثكل غيرك فإن العقوق ثكل من لم يثكل، ومن لك بأخيك كله، والتجرّد لغير نكاح مثله، ولا تكوننّ راضيا بالقول، الحرسُ يلهم العرض "يريد يأكله"، لا تحمدنّ أمة عام اشترائها، ولا فتاة عام هدائها، ولا تلم أخاك ما آسأك.

قالوا: وجمع أكنم بن صيفي بنيه، فقال: يا بني، قد أتت عليّ مائتا سنة، وإني مزودكم من نفسي؛ عليكم بالبرّ فإنه ينمي العدد، وكفوا السننكم فإن مقتل الرجل فكّي، إن قول الحق لم يدع لي صديقا، وإنه لا ينفع من الجزع التّبكيّ، ولا مما هو واقع التّوقّي، وفي طلب المعالي يكون الغرر "ويقال: يكون العور"، الاقتصاد في السعي أبقى للجمال، ومن لا يأسى على ما فاته ودّع بدنه، ومن قنع بما هو فيه قرّت عينه، التّقدّم قبل التّندّم، أن أصبح عند رأس الأمر أحبُّ من أن أصبح عند ذنبه، لم يهلك من مالك ما وعظك، ويل لعالم أمر من جاهله، الوحشة ذهاب الأعلام "أي العظماء"، ويتشابه الأمر إذا أقبل، فإذا أدبر عرفه الأحمق والكيس، عند الرخاء حمق، والجزع عند النازلة آفة التّجمل، ولا تغضبوا من اليسير فإنه يجني الكثير، لا تجيئوا فيما لا تسألون عنه، ولا تضحكوا مما لا يضحك منه، تناءوا في الديار ولا تباغضوا، فإن من يجتمع يتقعق عمدته "أو عمّده، يقالان جميعا" ولقد رأيت جبلا مطلا ترايله حجارته، ولقد رأيت أملس ما فيه صدع، ألزموا النساء المهانة، ولنعم لهو الحرّة المغزل، وأحمق الحمق الفجور، وحيلة من لا حيلة له الصبر، إن كنت ناعفي فوراً عن عينك، إن تعش تر ما لم تر، قد أقرّ صامت، المكثار كحاطب الليل، ومن أكثر أسقط، والسرو الظاهر الرياش، لا تبؤلوا على أكمة، ولا تفشوا سرا إلى أمة، من لم يرج إلا ما هو مسوجب له كان قمنا أن يدرك حاجته، ولا تمنعكم مساويي رجل من ذكر محاسنه.

حدثنا أبو روق، قال، حدثنا أبو عمر بن خلاد عن محمد بن حرب الهللي قال، قال أكنم بن صيفي لولده: يا بني، لا يغلبنكم جمال النساء عن صراحة النسب فإن المناكح الكريمة مدرجة للشرف. قال أبو حاتم، قالوا، وكان من أمر رياح بن ربيعة ذي ذرايح التميمي أنه أخذ عبدا يقال له، المج، وأمّه يقال لها، الصبغاء، وإبلا لابن أخ لأكنم، فبعث إليه أكنم مالك بن نويرة، وهو ختن رياح على ابنته، فدفع إليه ما كان أخذ منه، وأبطأ عليهم. فبعث إليه أكنم المكفّف بن المسّضح؛ فلما توجه من عنده قيل له، قد انطلق، فليأتينك بالإبل والعبد والأمة.

فقال أكنم: فتى ولا كمالك.

قال أبو حاتم: هذا مثل للعرب معروف.

فلما قدم عليه مالك قال: صرّح الأمر عن محصنه.

فدفع إليه مال ابن أخيه، فقال: أقصر لما أبصر، وهذا خبر إن كان له أثر، وفي الجريرة تشرك العشيرة، ورب قول من صول، والحُرَّ حرّ وإن مسّه الضُرُّ، وإذا أفرع الفؤاد ذهب الرُقَاد، هل يهلكني فقد مالا يعود، وأعوذ بالله أن يرميني امرؤ بدائه، ربّ كلامٍ ليس فيه اكتتام، حافظ على الصّدق ولو في الحريق، وليس من العدل سرعة العدل، وليس بيسير تقويم العسير، وإذا أردت النصيحة فتأهّب للظّنة، ولو أنصف المظلوم لم يبق فيينا ملوم، متى تعالج مال غيرك تسأم، وغثك خير من سمين غيرك، لا تنطح جماء ذات قرن، وقد يبلغ الخضم بالقضم، وقد صدع الفراق بين الرفاق، واستأنوا أحاكم فإن مع اليوم أخاه، وكلُّ ذات بعل سيئ، وقد غلب عليك من دعا إليك، والحُرُّ عزوف "أي صبور" لما يتلى، ولا تطمع في كل ما تسمع.

قالوا: وأشار أكنم يوم الكلاب على بني تميم حين سارت إليهم مذحج بأجمعها، فقال:

استشبروا، وأقلوا الخلاف على أمرائكم، وإياكم وكثرة الصباح في الحرب، فإن كثرة الصباح من الفشل، وكونوا جميعا فإن الجميع غالب، والمرء يجز لا محالة، تثبتوا ولا تسارعوا، فإن أحزم الفريقين أركنهما، ورب عجلة تهب ريثا، وتتمروا للحرب، وأرعوا الليل، واتخذوه جملا، فإن الليل أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف.

قال: وغزا أكنم، فأسر الأقياس وهيككا، وأخذ أهليهم وأمواهم، فقال لبني أخيه، وهم ثلاثة، الكلب، والذئب، والسبع بنو بني عامر، وعامر أخو أكنم؛ وكان أكبرهم الكلب وكان شرهم، فدفع الأقياس وهيككا وأهليهم إلى الكلب. ووضع الأموال على يدي الذئب، وقال: إذا أطلقتهم فادفع إليهم أمواهم وردوها عليهم.

فانطلق الكلب إلى الذئب فأخبره أنه قد أطلقهم، فأكل منا، فبلغ أكنم، فقال: نعم كلب في بؤس أهله، ومن استرعى الذئب ظلم، لا ترجعن عن خير هممت به، إنك لن تحباً للهر إلا سالكه.

قال، وقال أبو زيد: ما تحباً للدهر يسلكه وربما أعلم فأدع.

تشجُّ بيد وتأسو بأخرى، ودك من أعتبك، وحسبتك من شرّ سماعه، لا تكلف الهول فإن العاشية تهيج الآيبة ولا فقر منّا يهدي غمام أرضنا، ليس الحلم عن قدم، وكن كالسمن لا يخم.

قال الكلب: وما أنا برادها حتى يمدحوني.

فقال قيس بن نوفل:

## أنت السدي وابن الندى إن رددتها

## وجدك صيفي وخالك أكثم

فقال: كفى بهذا عارا ينسب الرجل إلى أمه، فرجع إلى فخذة قالوا: وجمع أكثم قومه، وسار حتى انتهى إليهم، فقال: يا حامل، اذكر حلا.

فقال أبو حاتم: المثلثك يا عاقد أذكر حلا؟ حسبك ما بلغك المحلا، رب أكلة تمنع أكلات، وربما ضام قبل أن يسام، وإنما اتخذت الغم من حذر العارية، ولو لذا عويت لم أعو. قال: فحلف عليه السبع، ليردّها، وليطلقنّها، ثم لا يقيم ببلد عليه فيها. فشخصا، وأتى الذئب أ، يتبعهما.

وقال أكثم: يا بني، لا حكمة، ولا تكونوا كالكلب، أحبّ أهله إليه الظاعن، أرى الكيس نصف العيش، ولا تعنفوا طلبا لرزقة، ولا دواء لمن لا حياء له، وفي كل صباح صبح، واذلل للحق تعزز، ولا تجر فيما لا تدري، وفي الاختبار، وكل ما يذل يحمد، وإنما يمسك من استمسك، وكاد ذو الغربة يكون في كربة، والمنية تأتي على البقية، واستر سوءة لما تعرف فيك، والذئب مغبوط بذئ بطنه.

قالوا: وكتبت جهينة ومزينة وأسلم وخزاعة إلى أكثم، أن أحدث إلينا أمرا نأخذ به، فكتب إليهم: لا تفرقوا في القبائل فإن الغريب بكل مكان مظلوم، عاقدوا الثروة، وإياكم والوشائظ "قال أبو حاتم، وهم الحشو من الناس" فإن الذلة مع القلة، جازوا أخلاقكم بالبذل والتجدة، إن العارية لو سُئلت، أين تذهيبين؟ لقلت، أبغي أهلي ذما، مت يتبع كل عورة يجدها، والرسول مبلغ غير ملوم، من فسدت بطانته كان كمن غصّ بالماء، ولو بغيره غصّ أجارته غصّته، أشرف القوم كالمخّ من الدابة فإنما تنوء الدابة بمخّها، وأشد القوم متونة أشرافهم، وهم كحاقن الإهالة، من أساء سمعا أساء إجابته، والدال على الخير كفاعله، والجزاء بالجزاء والبادئ أظلم، والشّر يبدوه صغاره، وأهون السّقي التّشريع.

قالوا: تنافر القعقاع، وخالد بن مالك بن سلم النهشلي إلى أكثم بن صيفي، أيهما أقرب إلى المجد والسؤدد، فقال: سفيهان يريدان الشر، ارجعا فإن أبيتتم فيني لست مفضّلا أحدا من قومي على أحد، كلّهم إلى الشرع سواء.

وخلا بكل واحد منهما يسأله الرجوع عما جاء له.

فلما أيا بعث معهما رجلا إلى ربيعة بن حذار الأسدي، وحبس عنده إبلهما، وكان تنافرا مائة مائة، فقال: انطلقا مع رسولي هذا، فإنه قتلت أرض جاهلها، وقتل أرضا عالمها، الرفق حسن الأناة ومواتاة الأولياء، واللوم منع السداد وذم الجواد، والدقة منع السير، وطلب الحقير، والخرق طلب القليل وإضاعة

الكثير، صادق صديقك هونا ما عسى أن يكون عدوك يوم ما، وعاد عدوك هونا ما عسى أن يكون صديقك يوما.

قال: فنفر ربيعة القعقاع على خالد، وقال: ما جعل العبد كربه. فرجع خالد مغضبا، فإذا هو براع لبني أسد، فسأله، فأخبره الخبر، فقال الراعي: الحق بأكنم فإن أخذت الإبل وإلا فقد هلكت.

فجاء إلى أكنم فادعاها، وسأله الإبل، فقال أكنم: حتى يأتيني رسولي. فخرج من عنده مغضبا حتى أتى بني مجاشع وبني نمشل فقال: أتغلبني أسيد على مالي؟ فخرجوا، فركبوا إليهم، فخرج إليهم أكنم في قومه، فردهم. وقال في ذلك:

أرادوا بأن يستنقصوا عزَّ أكنمًا

أنبئت أن الأقرعين وخالدا

"ويروي: يستهضموا؛ وقيل: يستعضوا"

بعمدٍ أرادوا أن أذمَّ ويغنما

فعضَّ بما أبقيت خواتن أمه

"أي: ويغنم خالد".

وزعموا أنه قال أيضا:

ويسرحها تحدي إلى الحيِّ أسلم

سأحبسها حتى يبين سبيلها

وجرداء من أهل الأفاقه صلدم

ويمنعها قومي ويمنعها يدي

قال: أصاب النعمان أساري من بني تميم، فركب إليه وفودهم، وفيهم أكنم بن صيفي حتى انتهوا إلى النجف، فلما علوه أناخ أكنم بعيره، وقال لأصحابه: ترون خصيلتي؟ قالوا: رأينا ما ساءنا. قال: قلبي مضغة من جسدي، ولا أظنه إلا نحل كما نحل سائر جسدي، فلا تتكلوا على في حيلة ولا منطلق.

فقدموا الحيرة، فأقاموا نصف حول.

ثم شخص النعمان إلى القطانة، فأقام بها نصف حول.

فلما انقضت الوفود، ولم يبق منهم إلا اليسير قام أكنم، فأخذ بحلقة الباب، ونادى:

هل تبلغنا ما أقول النعمان

يا حمل بن مالك بن أهبان

أهلكتني بالحبس بعد الحرمان

إنَّ الطَّعام كان عيش الإنسان

## من بين عارٍ جائعٍ وعطشان

## وذاك من شرِّ حباء الضيفان

فسمع النعمان صوته فقال: أبو حيدة ورب الكعبة، ما زلنا نجس أصحابه حتى تفحشناه.  
ثم أذن لهم.

فلما دخلوا قال: مَرِحَباً بكم، سلوني ما شئتم إلا أساري عندي.

فطلب إليه القوم حوائجهم؛ وأبي أكتهم أن يسأله.

فقبل له: ما يمنعك؟ قال: قد علم قومي أي من أكثرهم مالا، وجئنا لأمرٍ قد نُهينا عنه.

فقال النعمان: ما أراهم إلا سيغنمون، وتخبُّ.

قال ذلك لهم ثلاثاً، يقول النعمان مثل مقالته، ويقول أكتهم مثل مقالته، ثم أذن له في الرابعة في القول.

فتكلم أكتهم، فقال: "أَيَّتَ اللَّعْنِ، قد علم قومي أي من أكثرهم مالا، ولم أسأل أحدا شيئاً، إن المسألة مِنْ

أضعف المكسبة، وقد تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها، إن من سلك الجدد أمن العثار، ولم يجر سالكُ

القصد، ولم يعم على القاصد مذهبه، من شدّد نَفْرًا، ومن تراخى تَأَلَّفًا، والشرُّ التَّغافل، وأحسن القول

أوجزه، وخير الفقه ما حاضرت به".

فقال النعمان: سل حاجتك.

فقال: ناقتك برحلها، وخلعتك، وكلُّ مكروبٍ بالقطقطانة والحيرة عرفني.

قال: ذاك لك.

فركب ناقته في كُسونه، ثم نادى، يا أهل السجن، إن النعمان قد جعل لي من عرفني.

قالوا: كلنا يعرفك، أنت أكتهم بن صيفي.

ثم فعل مثل ذلك بالحيرة، فأخرجهم، ثم قال:

تَوَيْنَا بِالْقَطَاقِطِ مَا تَوَيْنَا

وَبِالْعَبْرَيْنِ حَوْلًا مَا نَرِيْمُ

وَأُخْبِرْ أَهْلَنَا أَنْ قَدْ هَلَكْنَا

وَقَدْ أَعْيَا الْكُوَاهِنُ وَالْبِسُومُ

وَأَسَانَا عَلَى مَا كَانَ أَوْسُ

وَبَعْضُ الْقَوْمِ مَلْحِي نَمِيْمُ

فَقُلْتُ لَهُمْ، أَيَا قَوْمِي أَبَانْتُ

فَكُونُوا النَّاهِضِينَ بِهَا، وَقَوْمُوا

بِوَفْدٍ مِنْ سِرَاةِ بَنِي تَمِيْمِ

إِلَى أَمْثَالِهِمْ لَجَأَ الْبَيْتِيْمُ

فَإِنَّكُمْ لِأَنْ تَكْفُوهُ أَهْلُ

عَلَيْكُمْ حَقُّ قَوْمِكُمْ عَظِيْمِ

وَإِنَّكُمْ بِعَقُوَّةِ ذِي بِلَاءٍ

وَحَقُّ الْمَلِكِ مَكْشُوفِ عَظِيْمِ

قال: وكتب ملك هجر، أو نجران إلى أكتثم أن يكتب إليه بأشياء ينتفع بها، وأن يوجز.  
فكتب إليه:

"إن أحمق الحمق الفجور، وأمثل الأشياء ترك الفضول، وقلة السَّقَط لزوم الصواب، وخير الأمور مغبةً ألاّ تني في استصلاح المال، وإياك والتبذير فإن التبذير مفتاح اليؤس، ومن التواني والعجز نتجت الهلكة، وأحوج الناس إلى الغنى من لا يصلحه إلا الغنى -وأولئك الملوك-، وحبُّ المديح رأس الضياع، وفي المشورة صلاح الرعية ومادة الرأي، ورضا الناس غاية لا تدرك، فتحرَّ الخير بجهدك، ولا تحفل سخط من رضاه الجور، ومعالجة العقاب سفة، وتعوّد الصبر، لكل شيء ضراوة، فضرَّ لسانك بالخير، وتوكلَّ بالمهم، ووكلَّ بالصغير، وأخرَّ الغضب فإن القدرة من ورائك، وأقل الناس في البخل عذرا أقلهم تحوُّفا للفقير، وأقبح أعمال المقتدرين الانتقام، جاز بالحسنة، ولا تكافئ بالسيئة، فإن أغني الناس عن الحقد من عظم خطره عن المجازاة، وإن الكريم غير المدافع إذا صال بمثلة اللئيم البطر، من حسد من دونه قلَّ عذره، ومن حسد من فوقه فقد أتعب نفسه، من جعل لحسن الظنّ نصيباً رُوِّح عن قلبه، وأصدر به أمره".

وكتب الحارث بن أبي شمر الغساني ملك عرب الشام إلى أكتثم بن صيفي بن رباح، أن هرقل نزل بنا، فقامت خطباءُ غسان فتلقته بأمر حسن، فوافقته، فأعجب به، فعجب من رأيهم وأحلامهم، وأعجبي ما رأيت منهم، ففخرت بهم عليه، فقال: هذا أدبي فإن جهلت ذاك فانظر، هل بجزيرة العرب مثل هؤلاء حكمة، وعقولا، وألسنة.

فكتب إليه أكتثم: "إن المروءة أن تكون عالماً كجاهل، وناطقاً كعبيّ، والعلم مرشدة، وترك ادّعائه ينفي الحسد، والصمت يكسب المحبة، وفضل القول على الفعل لؤم، وفضل الفعل على القول مكرمة، ولم يزلَّ الكذب بشيء إلا غلب عليه، وشرُّ الخصال الكذب، والصديق من الصدق سميّ، والقلب يتهم وإن صدق اللسان، والانتقاض من الناس مكسبة للعداوة، والتقرب من الناس مجلبة لجليس السوء، فكن من الناس بين المنقبض والمسترسل، وخير الأمور أوساطها، وأفضل القرناء المرأة الصالحة، وعند الخوف حسن العمل، ومن لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من علمه زاجر "أي لم يحفل بمرشد"، ومن أهمل نفسه أمكن عدوه "أو قال تمكن من عدوه" على أسوأ عمله، وفسولة الوزراء أضرُّ من بعض الأعداء، وأوّل الغيظ الوهن".

قالوا: وكتب للنعمان بن المنذر إلى أكتثم، وذكر ملك من ملوك فارس رجال العرب وعداوة بعضهم لبعض، وحالهم في بلادهم، فقال الفارس: هذا لحنّة أحرمتهم، وقلة عقولهم.

فكتب إلى أكتثم أن اعهد إلينا أمراً نعجب به فارس ونرغبهم به في العرب.

فكتب أكتثم: "لن يهلك امرؤ حتى يضيّع الرأي عند فعله، ويستبدّد على قومه بأموره، ويعجب بما ظهر من

مرؤته ويغترّ بقوّته، والأمر يأتيه من قومه، وليس للمختال في حسن الثناء نصيب، والجهل قوة الخرق، والخرق قوة الغضب، وإلى الله تصير المصائر، ومن أتى مكروها إلى أحد فبنفسه بدأ، إن الهلكة إضاعة الرأي، والاستبداد على العشيرة يجرُّ الجريرة، والعجب بالمروءة دليل على الفسولة، ومن اعترّ بقوته فإن الأمر يأتيه من فوقه، لقاء الأحبة مسلاة اللهم، من أشرّ ما لا ينبغي إعلانه ولم يعلن للأعداء سريرته سلم الناس عليه، والعبيُّ أن تكلم يفوق ما تسدّ به حاجتك، وينبغي لمن عقل ألا يثق بإخاء من لم تضطرّه إليه حاجة، وأقلُّ الناس راحة الحقود، ومن أتى على يديه غير عامد فأعفه من الملامة "أو اللائمة"، ولا تعاقب على الذنوب إلا بقدر عقوبة الذنب فتكون مذنباً، ومن تعمد الذنب لم تحل الرحمة دون عقوبته، والأدب رفق، والرفق يمن، والخرق شؤم، وخير السخاء ما وافق الحاجة، وخير العفو ما كان مع القدرة، ومن سوء الأدب كثرة العتاب، ومن اغترّ بقوّته وهن، ولا مروءة لغاشّ، ومن سفه حلمه هان أمره، والأحداث تأتي بغتة، وليس في قدرة القادر حيلة، ولا صواب مع العجب، ولا بقاء مع بغي، ولا تتقنَّ بمن لم تختبره".

أخبرن أبو ورق قال، حدثنا أبو حاتم قال، وذكر ابن الكلبي، عن عيسى ابن لقمان، عن محمد بن حاطب الجمحي قال: عاش ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ابن عمرو بن هصيص مائتي سنة، ولم يشب شيية قط، وأدرك الإسلام فلم يسلم. وقد اختلف في إسلامه، فقالت نائحته بعد موته:

ضبيرة السهميِّ ماتا

من يأمن الحدثن بعد

وكان ميته افتلاتا

سبقت منيته المشيب

من دون أهلكم خفاتا

فتزودّوا لا تهلكوا

قال وعاش ذويد بن نهد أربعمائة سنة وستا وخمسين سنة، فلما حضره الموت قال:

والدّهر ما أصلح يوماً أفسدا

ألقي غليّ الدهرُ رجلاً ويّدا

يُفسد ما أصلحه اليوم غدا وقال أيضاً:

وربّ حسنٍ لويتهُ

يا رب نهبٍ صالحٍ حويتهُ

لو كان للدّهر بليّ أبليتهُ

اليوم يبني لذويد بيتهُ

أو كان قرني واحداً كفيتهُ

ثم مات مكانه.

قالوا: وجمع بني عند الموت، فقال: "أوصيكم بالناس شراً، لا تقبلوا لهم معذرة ولا تُقبلوهم عثرة، أوصيكم بالناس شراً، طعناً وضرباً، قصرُوا الأعنة، اشرعوا الأسننة، وارعوا الكلاً وإن كان على الصفا، وما احتجتم إليه فصونوه، وما استغنيتم عنه فأفسدوه على من سواكم، فإن غشّ الناس يدعوا إلى سوء الظن، وسوء الظن يدعوا إلى الاحتراس".

وأوصى نهد بن زيد بنيه فقال: "يا بني، أوصيكم بالناس شراً، كلموهم نزراً، واطعنوهم شزراً، ولا تقبلوا لهم عذراً، ولا تقبلوهم عثرة، وقصروا الأعنة، واشحذوا الأسننة تأكلوا بذلك القريب، ويرهبكم البعيد، وإياكم والوهن فيطمع فيكم الناس".

قال أبو حاتم، وذكر ابن الجصاص أن محصن بن عتيان بن ظالم الزبيدي عاش مائتي سنة وستاً وخمسين سنة، قال وهو من سعد العشيرة، وقال:

ألا يا أَسْمَ إِنِّي لَسْتُ مِنْكُمْ  
دعاني الدّاعيان فقلت إِيها  
ولكنِّي امرأُ قومي شعوبُ  
ألا يا أَسْمَ أعيان الرُّكوبُ  
فقالا: كلُّ من ندعو يجيبُ  
وصرتُ رزيةً في البيتِ كلاً  
وأعيتني المكاسبُ والهوبُ  
تأذَى بي الأبعادُ والقريبُ  
كذاك الدَّهْرُ والأَيّامُ غولُ  
لها كلُّ سائمةٍ نصيبُ

وعاش دريد بن الصّمة الجشمي، من جُثم بن سعد بن بكر، نحو من مائتي سنة، حتى سقط حاجباه على عينيه، وأدرك الإسلام ولم يسلم، وقتل يوم حنين كافراً، وإنما خرجت به هوازن تتيمن به. وقال دريد:

فإن يكُ رأسي كاتِّغامة نسلُهُ  
رهينة قعرِ البيتِ كلِّ عشيةٍ  
يطيف بي الولدانُ أحذبَ كالقردِ  
فمن بعد فضل من شباب وقوةٍ  
كأني أرقّي أو أصوبُ في المهدِ  
وشعر أثيثٍ حالك اللون مسودّ

وأنه لما كبر أراد أهله أن يجسوه، فقالوا: إنا حابسوك وما نعوك من كلام الناس، فقد خشينا أن تخلط فيروى ذلك الناس علينا، ويرون منك عارا.

قال: أوقد خشيتم ذلك مني؟ قالوا: نعم.

قال: فانحروا جزورا، وأصنعوا طعاما، وأجمعوا إلى قومي حتى أحدث لهم عهدا.

فانحروا جزورا، وعملوا طعاما، ولبس ثيابا حسانا، وجلس لقومه، حتى إذا فرغوا من طعامهم قال:

"اسمعوا مني، فإني أرى أمري بعد اليوم صائر لغيري، وقد زعم أهلي أنهم خافوا على الوهم، وأنا اليوم خبير بصير، إن النصيحة لا تهجم على فضيحة، أما أول ما أهماكم عنه فأهماكم عن محاربة الملوك، فإنهم كالسَّيل بالليل، لا تدري كيف يأتيه، ولا من أين يأتيك، وإذا دنا منكم الملك واديا فاقطعوا بينكم وبينه واديين، وإن أجدبتم فلا ترعوا حمى الملوك وإن أذنوا لكم، فإن من رعاها غانما لم يرجع سالما، ولا تحقرن شرا فإن قليله كثير، واستكثروا من الخير فإن زهیده كبير، اجعلوا السلام محياة بينكم وبين الناس، ومن حرق ستركم فارقعوه، ومن حاربكم فلا تغفلوه، وروا منه ما يرى منكم، واجعلوا عليه حدكم كله ومن تكلم فاتركوه، ومن أسدى إليكم خيرا فاضعوا له، وإلا فلا تعجزوا أن تكونوا مثله، وعلى كل إنسان منكم بالأقرب إليه، يكفي كل إنسان ما يليه، وإذا التقيتم على حسب فلا تواكلوا فيه، وما أظهرتم من خير اجعلوه كثيرا، ولا ير فركم صغيرا، ولا تنافسوا السؤدد، وليكن لكم سيد، فإنه لا بد لكل قوم من شريف، ومن كانت له مروءة فليظهرها، ثم قومه أعلم، وحسبه بالمروءة صاحبها، ووسعوا الخير وإن قل، وافنوا السريمت، ولا تنكحوا دنيا من غيركم فإنه عار عليكم، ولا يحتشمن شريف أن يرفع وضعه بأياماه، وإياكم والفاحشة في النساء فإنها عار أبدي وعقوبة غد، وعليكم بصلة الرحم فإنها تعظم الفضل وتزين النسل، وأسلموا ذا الجريرة بجريرته، ومن أبي الحق فاعلقوه إياه، وإذا عييتم بأمر فتعاونوا عليه تبلغوا، ولا تحضروا ناديكم السَّفيه، ولا تلجوا بالباطل فيلج بكم".

قالوا: وعاش ابن حممة الدوسي، واسمه كعب، أو عمرو، أربعمائة سنة غير عشر سنين، فقال:

كبرت وطال العمر حتى كأنني	سليم أفاع، ليلة غير مودع
فما الموت أفناني ولكن تتابعت	علي سنون من مصيف ومربع
ثلاث مئين قد مررن كواملا	وها أنذا أرتجي مرَّ أربع
وأصبحت مثل النسْر طارت فراخه	وإذا رام تطايرا يقلن له وقع
أخبر أخبار القرون التي مضت	ولا بدَّ يوما أن يطار بمصرعي

وقلوا: وعاش كهمس بن شعيب الدوسي أربعين ومائة سنة، فقتله تآبط شرا الفهمي.

وكهمس الذي يقول:

ألا ربَّ بهب يخطر الموت دونه	حويت وقرن قد تركت مجذلا
وخيل كأسراب القطا قد وزعتها	بخيل تساقبها ثمالا متمثلا
ولذات عيش قد لقيت وشدة	صبرت لها جاشي ولم أك أعزلا
ومستلحم فيه الأسنة شرَّع	دعاني أن يصاب ويقنلا

سَعَيْتَ إِلَيْهِ سَعِي لَا وَهْنُ الْقَوَى  
فَنَفَسَتْ عَنْهُ الْخَيْلُ وَانْتَشَتْ نَفْسُهُ  
وَقَدْ عَشْتِ حَتَّى مَلَلْتَ مَعِيشَتِي  
وَأَلَا نَجَاةَ لَا مَرِيءَ مِنْ مَنِيَّةٍ  
وَلَا عَاجِزَ لَا يَسْتَطِيعُ التَّحَلُّلَا  
وَقَدْ عَايَنَ الْأَبْطَالَ أُخُولَ أُخُولَا  
وَأَيَّقَنْتَ حَقًّا أَنْ سَأَلْتَنِي الْمَوَكَلَا  
وَلَوْ حَلَّ فِي أَعْلَى شِمَارِيخٍ يَذْبَلَا

قالوا: وعاش مصاد بن جناب بن مرارة من بني عمرو بن يربوع بن حنظلة ابن زيد مناة أربعين ومائة سنة، وقال:

مَا رَغِبْتِي فِي آخِرِ الْعَيْشِ بَعْدَ مَا  
إِذَا مَا أُرِدْتَ أَنْ أَقُومَ لِحَاجَةٍ  
فِيرْجِعُهُ الْمَرْمَى بِهِ عَنْ سَبِيلِهِ  
وَقَالَ أَيْضًا:  
أَكُونُ رَقِيبَ الْبَيْتِ لَا أَتَغِيبُ  
يَقُولُ رَقِيبٌ حَافِظٌ، أَيْنَ تَذْهَبُ  
كَمَا رَدَّ فَرَخُ الطَّائِرِ الْمَتْرَبِ

إِنَّ مَصَادَ بْنَ جَنَابٍ قَدْ ذَهَبَ  
وَالْمَوْتَ قَدْ يَدْرِكُ يَوْمًا مِنْ هَرَبِ  
وَقَالَ أَيْضًا:  
أَدْرِكُ مِنْ طَوْلِ الْحَيَاةِ مَا طَلِبُ

لِلْمَوْتِ مَا نَغْذَى وَلِلْمَوْتِ قَصْرْنَا  
فَمَنْ كَانَ مَغْرُورًا بِطَوْلِ حَيَاتِهِ  
فَلَيْسَ بِيَاقٍ إِنْ سَأَلْتَ ابْنَ مَالِكٍ  
وَقَالُوا: وَعَاشَ مَسَافِعُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَّى الضَّمْرِيُّ سِتِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ، وَقَالَ:  
وَلَا بَدَّ مِنْ مَوْتٍ وَإِنْ نَفْسُ الْعَمْرُ  
فَأَيُّ جَمِيلٍ أَنْ سَيَصْرَعُهُ الدَّهْرُ  
عَلَى الدَّهْرِ إِلَّا مِنْ لَهُ الدَّهْرُ وَالْأَمْرُ

جَلَسَتْ غَدِيَّةٌ وَأَبُو عَقِيلٍ  
وَعَرُوةُ ذُو النَّدَى وَأَبُو رِيَّاحٍ

كَأَنَّا مُضْرِحِيَّاتُ بَرِضَوَى  
بِيرَانَا أَهْلُنَا، لَا نَنْ مَرَضَى  
وَلَا نَرُوي الْعِضَالَ إِذَا اجْتَمَعْنَا  
عَلَى ذِي دَلُونَا، وَالْحَفْرُ طَاحُ

يَقُولُ: ضَعَفْنَا فَلَا نَقْدِرُ عَلَى الْإِسْتِسْقَاءِ. طَاحُ مَمْلُوءٌ وَقَالَ مَسَافِعٌ حِينَ ضَجَرَ بِهِ أَهْلُهُ:

لَعَمْرُكَ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْمَوْتَ قَدْ أَتَى  
لِدَاعٍ عَلَى بَرِّ جَفْنَتِهِ الْعَوَائِدُ

من الدَّهرِ أصغى غصنه فهو ساجد  
ألا لا بودي لو بني لي لاحدُ  
فأبقى ويمضي واحداً ثمَّ واحداً  
تأتُّ لدار الخلد، إنَّك خالدُ  
بودِّي الَّذي يهون لو أنا واجدُ

به سقم من كل سقمٍ وخبطه  
إذا مرَّ نعشٌ قيل نعش مسافعٍ  
يظنون أنني بعد أولِّ ميَّت  
فقالوا له لمَّا رأوا طولَ عمره  
غضاب عليَّ أن بقيت وإنِّي

"أضمر الهاء، يقول، لو أنا واجده".

قالوا: ومن المعدودين في المعمرين من قضاة زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن كلب بن وبرة، عاش أربعمئة سنة وعشرين سنة، وأوقع مائتي وقعة، وكان سيداً مطاعاً شريفاً في قومه؛ ويفد قال، كانت فيه عشر خصال، ولم يجتمعن في غيره من أهل زمانه: كان سيد قومه، وخطيبهم، وشاعرهم، ووافدهم إلى الملوك، وطيبهم-والطب في ذلك الزمان شرف-، وحازى قومه-والحزاة الكهَّان-، وكان فارس قومه، وله البيت فيهم، والعدد منهم. فبلغنا أنه عاش حتى هرم وغرض من الحياة، وذهب عقله، فلم يكن يخرج إلا ومعه بعض ولده، أو ولد ولده.

وأنه خرج ذات عشية إلى مال له ينظر إليه، فأتبعه بعض ولده، فقال له: ارجع إلى البيت قبل الليل، فأبى أخاف أن يأكلك الذئب.

فقال: فقد كنت، ما أحشيت الذئب.

فذهبت مثلاً.

ويقال: إن هذا هو خفاف بن عمير السلمي، وهو ابن ندبة السلمي قال أبو حاتم: وذكر ابن الكلبي أن هذا مما حفظ عن من تثق به من الرواة.

وقد ذكر لقيط أيضاً نحواً من الحديث؛ وذكر أن زهيراً عاش ثلاثمئة سنة وخمسين سنة.

حدثنا أبو حاتم قال: وقال العمري، أخبرني محمد بن زبار الكلبي عن أشيخه من كلب قالوا، كان زهير بن جناب قد كبر حتى خرف، وكان يتحدث بالعشي بين القلب-يعني الآبار- وكان إذا انصرف الليل شق عليه.

فقلت امرأته ليس الأراشيئة لبنها خدش بن زهير: -اذهب إلى أبيك حتى ينصرف فخذ بيده فقده.

فخرج حتى انتهى إلى زهير، فقال: -ما جاء بك يا بني؟ قال: كذا وكذا.

قال: اذهب.

فأبى؛ وانصرف تلك الليلة معه.  
ثم كان من الغد، فجاء الغلام، فقال له: انصرف.  
فأبى.

فسأل الغلام، فكتمه، فتوعده، فأخبره الغلام الخبر، فأخذه، فاحتضنه، فرجع به.  
ثم أتى أهله، فأقسم زهير بالله، ألا يذوق إلا الخمر حتى يموت.  
فمكث ثمانية أيام، ثم مات.  
وقال ابن لقيط، وابن زبار، وغيرهما، قال: ورواية ابن أُمِّهَنَّ.

على لميس الأراشيّة

حبال القاطنيه

الهمام بذى الثويّه

فرجعت محمود الحذيّه

جدّ الرحيل وما وقفت

ولقي ثواني اليوم ما علقت

حتى أودّها إلى الملك

قد نالني من سبيه

"قال أبو حاتم: ويقال أولها كما أخبرنا أبو زيد الأنصاري عن المفضل"

أورثتكم مجدا بنيّة

دات، زدناكم وريّه

قد نلته إلا التحيّة

زيني ولا يهب الدعيّة

توقد في طميّة

ليس لها وليّ

لم يغمز شطيّه

معا، ومن حمر القفيّه

أبنيّ إن أهلك فقد

وتركتكم أولاد سنا

كلّ الذي نال الفتى

كم من محيا لا يوا

ولقد رأيت النار للسلاف

ولقد رحلت البازل الوجناء

ولقد غدوت بمشرف الطرفين

فأصبت من حمر القنان

غير الضعيفة والعيّه

فليهلكن وبه بقيّه

المقامة بالعشيّه

ونطقت خطبة ماجد

فالموت خير للفتى

من أن يرى تهديه ولدان

"ويروى:"

ممن أن يرى الشيخ البجال  
"البجال"

وقد يهادى بالعشيّه  
الذي يبجلّه أصحابه ويعظّمونه ."

وقال زهير بن جناب حين مضت له مائتان سنة من عمره:

لقد عمّرت حتّى ما أبالي  
وحقّ لمن أنت مائتان عام  
شهدت المخطئين على خزازٍ  
ونادمت الملوك من آل عمرٍ  
أحتقى في صباحي أو مساءي  
عليه أن يملّ من النّواءِ  
وبالسُّلّان جمعا ذا زهاء  
وبعدهم بني ماء السّماء

قال أبو حاتم: التي ذكر امرأة؛ وهي بنت عوف بن جثم بن هلال النمرية، قال، فنadمت بينها، وهي أم المنذر بن النعمان. ويعنى بآل عمرو بني عمرو آكل المرار؛ والمرار بنت حار، يتقلص منه مشفر البعير إذا أكله.

قال، وقال أيضا زهير، وسمع بعض نسائه تتكلم بما لا ينبغي لامرأة تتكلم عند زوجها، فنهاها، فقلت له: اسكت، وإلا ضربتك بهذا العمود، فوالله ما كنت أراك شيئا، ولا تعقله. فقال عند ذلك:

ألا يا لقوم لا أرى النّجم طالعا  
مُعزّيتي عند القفا بعمودها  
أمينا على سرّ النساء وربّما  
وللموت خير من حداج موطأ  
من اللّيل إلا حاجبي بيمينني  
يكون نكيري أن أقول ذرينني  
أكون على الأسرار غير أمين  
مع الطّعن لا يأتي المحلّ لحين

"المعزة التي تقوم عليه وتطعمه كما يطعم الصبي؛ وذكر الأصمعي، المعزبة هي التي تحفه وترفه" وقال زهير بن جناب:

ليت شعري والدّهر ذو حدثان  
أسبأت على الفراش خفات  
أي حين منيتي تلقاني  
أم بكفي مَفجَعِ حرّان

ويروى: مَفجَعِ كأنه قُتل له قتيل.

قال أبو حاتم، وذكر الكلبي أن زهير بن جناب أوقع بالعرب مائتي وقعة. فقال الشرقي بن القطامي خمسمائة وقعة.

والشرقي ضعيف.

حدثنا أبو حاتم قال، وزعم هشام بن محمد عن أبيه محمد بن السائب قال، سمعت أشياخا الكلبين يقولون،  
عاش زهير بن جناب أن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة  
بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن مرة بن مالك  
بن حمير مائتي سنة.

فلم تجتمع قضاعة إلا عليه، وعلى رزاح بن ربيعة بن حرام بن ضنّة بن عبد كبير ابن عذرة بن سعد، وهو  
هذيم بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة؛ ورزاح، ودحنّ أخوا قضى بن كلاب لأمه.  
وكان زهير على عهد كليب بن وائل، وقد كان أسر مهلهلا، ولم يكن في العرب أنطق من زهير بن  
جناب، ولا أوجه عند الملوك، وكان لشدة رأيه يسمى كاهنا.

قال أبو حاتم: وذكر أصحابنا عن هشام قال، وكان زهير قال، ألا إن الحيّ ظعن.

فقال عبد الله بن عليم بن جناب: ألا إن الحيّ أقام.

فقال زهير: ألا إن الحيّ أقام فقال عبد الله: إلا إن الحيّ ظعن فقال زهير: من هذا المخالف علىّ منذ

اليوم؟ قالوا: هذا ابن أخيك عبد الله بن عليم.

فقال: شر الناس للعمّ ابن الأخ، إلا لا يدعُ قاتل عمه.

وأنشأ يقول:

ومن هو إن لا تجمع الدار لاهف

وكيف بمن لا أستطيع فراقه

ويرحل وإن أرحل يُقم ويخالفُ

أمير خلاف إن أقم لا يقيم معي

قال: ثم شرب زهير الخمر صرفا أياما حتى مات.

وشربها أبو براء، عامر بن مالك بن جعفر حين خولف صرفا حتى مات، وشربها عمرو بن كلثوم التغلبي

صرفا حتى مات؛ ولم يبلغنا أن أحد من العرب فعل ذلك إلا هؤلاء.

قالوا: وعاش زهير حتى أدركه من ولد أخيه أبو الأحوص، وعمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن

ضمضم بن عدي بن جناب.

قالوا: وكان الشرقي بن قطامي يقول: عاش ابن جناب أربعمائة سنة.

قال، وقال المسيّب بن الرّفّل الزهيري من ولد زهير بن جناب:

وسوسنا وتاج الملكِ عالي

وأبرهة الذي كان اصطفانا

ولم يكِ دونه في الأمر والي

وقاسم نصفِ إمرته زُهيرا

وَأَمْرَهُ عَلَى الْحَيِّ الْمَعَالِي

يَرُدُّهُمَا عَلَى رَغْمِ السَّبَالِ

أَلَمَّا يَهْلِكَانِ مِنَ الْهَزَالِ

وَأَمْرَهُ عَلَى حَيِّ مَعَدٍ

عَلَى ابْنِي وَائِلٍ لِهَمَا مَهِينَا

بِحَبْسِهِمَا بَدَارِ الدُّلِّ حَتَّى

قال: وعاش هبل بن عبد الله بن كنانة الكلبي، وهو جدُّ زهير بن جناب ابن هبل بن عبد الله سبعمائة سنة حتى حُرف، وغرض منه أهله.

فقالوا: إن بني بني، وبني بناته وبني أخيه كانوا يضحكون منه، ومن اختلاط كلامه، وأن نفرا من قومه يقال لهم بنو عبدود بن كنانة جلسوا يوما عنده، فأكثرُوا التعجب منه، ولم يكونوا في الشرف مثله، منهم جليل بن عامر بن عوف بن كنانة، وحجل بن عمرو بن عوف بن كنانة، وهما من كلب، ولم يكونا مثله، ولا مثل ولده في الشرف. فقال هبل بن عبد الله:

ذَا سَامٍ وَنَوَالٍ وَجَدَلٍ

عَبْدٌ وَدٌ وَجَبِيلٌ وَحَجَلٌ

رَبِّ يَوْمٍ قَدْ يَرَى فِيهِ هَبْلٌ

لَا يَنَاجِيهِ وَلَا يَخْلُو بِهِلٌ

"بِهَلٍ، يريد به، واللام زائدة".

وقال حاطب بن مالك بن الجلاس النهشلي يذكر طول عمر هبل:

كَعَيْشِ هُبَلٍ، لَقَدْ سَفِهَتْ عَلَى عَمَدٍ

تُعَمَّرُهَا بَيْنَ الْغَطَارِفَةِ الْمُرْدِ

وَقَدْ كُنْتَ سَبَّاقًا إِلَى غَايَةِ الْمَجْدِ

يَدَبُّ دَيْبًا فِي الْمَحَلَّةِ كَالْقَرْدِ

حَلِيفِ النَّدَى عَمْرُو سَلِيلِ أَبِي الْجَعْدِ

يُبَادِرُ فِتْيَانَ الْعَشِيرَةِ لِلْحَمْدِ

كَأَنَّكَ تَرَجَوَا أَنْ تَعَيْشَ ابْنَ مَالِكٍ

وَمَاذَا تُرَجِّي مِنْ حَيَاةٍ ذَلِيلَةٍ

وَأَنْتَ لَقِيَ فِي الْبَيْتِ كَالرَّالِ مُدْنَفٌ

وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ لِأَمْرِي مِنْ حَيَاتِهِ

فَلَوْ أَنَّ شَيْئًا نَالَ خَلْدًا لَنَالَهُ

فَتَى كَانَ سَبَّاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ

قالوا: وكان عمرو سليل أبي الجعد خال حاطب، وهو عمرو بن الحميس بن الجعد ابن رقة بن لوزان، أحد ثور أطحل، وكان سيدا شجاعا، جواجا، قتله أنس ابن مدرك الخشعمي.

قالوا: قال عمارة بن عوف العدواني، ثم أحد بني وابش، وعمر خمسين ومائتي سنة، وكان كاهنا أدرك عمر بن الخطاب أول ما ولي، وهو شيخ قد ذهب بصره، وحرف، وأولع بالهذيان، يقول، أقروا ضيفكم. وهو الذي يقول:

تقول لي عمرة  
قلنت لها، والجود من شيمتي  
تهذي به في السرّ والجهر  
بضيفكم إنّ له حرمةً  
أمركم في العسر واليسر  
وارعوا لجار البيت ما قد رعى  
فأقروا ضيوف في قحد الجزر  
قوموا لضيف جاءكم طارقاً  
قبلكم ذاك بنو عمرو  
وقوموا لضيف جاءكم طارقاً  
وجاركم بالنّي والخمر  
قال أبو حاتم: من قال النّي مفتوحة النون أراد الشّحم، ومن قال النّي بالكسر أراد اللحم الطري.  
وذببوا من رام جيرانكم  
بالسوء بالبتر وبالسمر  
واخشوشنوا في الحرب إن أوقدت  
بكل خطي وذئ أثر  
"ذو أثر يريد السيف، يراد به ليمأثورة؛ والأثر هو الفرند الذي فيه".  
ولا تهرّ الموت إن أقبلت  
خيل تعادي سنن الدبر  
فربّ يومٍ قد شهدت الوغى  
بسابح ينقض كالصقر  
أقدم قوما سادة ذاذة  
بيضا عن القخر  
"ويروى: يحامون عن النجر، وهو الأصل".  
لما احتووه جالدوا دونه  
وطار أقوام من الذعر  
فذاك دهر، ومحار الفتى  
في غير شك مظلم القعر  
أو طعنة تأتي على نفسه  
فهأقة تأتي على السبر  
"يريد جياشة، لا يرد دمها القتل".  
عمرت دهرًا ثم دهرًا وقد  
أمل أن آتي على دهر  
فإن أمت فالموت لي خيرة  
من قبل أن أهذي ولا أدري  
خمسون لي قد أكملت بعدما  
ساعد لي قرنان من عمري  
"قرنان : مائتا سنة، ويروى دهران من عمري".

قالوا: وعاش تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ابن معد خمسمائة سنة حتى أخلق أربعة لحم حديد، وكان من دهاة العرب في زمانه.

فبلغنا أنه بعث بنيه ذات يوم في طلب إبل له ظلَّت، فهبت ريح بعدما خرجوا من عنده شديدة، وذلك في الشتاء، فقال لامرأته، أمّ بنيه: انظري من أين هبت الريح.

فنظرت، ثم قالت: من مكان كذا وكذا.

فقال لها: أختيني في بني أم لا؟ فقالت لا والله ما خنتك فيهم.

فقال: ويحك، والله إني لأعلم أنها ريح تُدهدي البعر، وتعفوا الأثر فلا يعرفون منطلقا، وإنما لتسوق مطرا فلا يعرفون أثرا، فإن رجعوا فإنهم بيّ، وإياي أشبهوا، وإن مضوا فلن تريهم أبدا، وقد خنتني فيهم، ووالله لأقتلنك إذن قبل أن يرجعوا.

ثم لم يزل ليلة أجمع ما ينام وما تنام امرأته حتى إذا كان عند طلوع الفجر رجع أحدهم، فقال له أبوه، تيم الله: - ما ردك؟ قال: هبت ريح تدهدي العر، وتعفوا الأثر، وتسوق المطر فلم أر منطلقا. فتتابعوا على مثل مقالته كلّهم، ورجعوا إلى أبيهم، فسرّ بذلك، وقال: أنتم بيّ حقا، وإياي أشبهتم. فلما حضره الموت أمر بنيه أن يحفروا قبره بمكان يقال له "حضن". وقال في ذلك:

**بحضن حياته وموته**

**ها ذاك تيم الله ببني بيته**

وكان الذي ولي كبرته من بنيه هلال، وبنو هلال بن تيم الله أقل بني تيم الله عددا، وأخملهم ذكرا. فقال في ذلك الأحنس بن عباس بن خنسا بن عبد العزى بن هلال بن تيم الله ابن ثعلبة:

**وكان وليّ كبرته أبونا**

**حملنا الشّيخ تيم الله عودا**

**ولكننا كفيّنا ما ولينا**

**ولم يك طبُّ أعمامي عوقا**

**وأطرفناه حتى مات فينا**

**جزيناه بنعمته علينا**

"أطرفناه=ابتدأناه بالنعم".

قالوا: وعاش سويد بن خذاق، من عبد القيس بن أفضى بن دعى بن أسد ابن ربيعة بن نزار مائتي سنة. وقال في ذلك:

**رمى الدهر مني كل عضو بأهزعا**

**كبرتُ، وطال العمر حتّى كأنّما**

**فتاة بني من كان أزمان تُبعا**

**غنمت بعيري شيخ من سئلت به**

قالوا: وقال عطاء الكلبي: عاش الجشع بن عوف بن جذيمة، من عبد القيس مائتي سنة حتى هرم، وملّ الحياة، وهان على أهله.

فقال في ذلك:

حَتَّى مَتَى الْجَشْعَمُ فِي الْأَحْيَاءِ      لَيْسَ بَدِي أَيْدٍ وَلَا غِنَاءُ هَيْهَاتَ مَا لِلْمَوْتِ مِنْ دَوَاءِ  
قالوا: وعاش مجع بن هلال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن هلال ابن تيم الله بن ثعلبة بن  
عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل مائة سنة وتسع عشر سنة.  
فقال في ذلك:

إن أمس شيخا قد بليت فطالما      عمرت، ولكن لا أرى العيش ينفع  
مضت مائة من مولدي فنضيتها      وعشر وخمس بعد ذلك وأربع  
فيا رب خيل كالقطا قد وزعتها      لها سبل، فيه المنية تلمع  
شهدت، وغنم قد حويت ولذة      أصبت، وماذا إلا تمتع

قالوا: وعاش عمرو بن ثعلبة من عبد القيس مائتي سنة.  
وقال في ذلك حين كبر، وهان على أهله:

تهزأت عرسي واستنكرت      شيبتي، ففيها جنف وازورار  
لا تكثري هزاء، ولا تعجبي      فليس بالشيب على المرء عار  
عمرك، هل تدريين أن الفتى      شبابه ثوب عليه معار

قال أبو حاتم: وزعم عطاء بن مصعب الملقب بالأحمر وضع هذا البيت الآخر.  
وعاش أنس بن مدرك الخشعمي بن كعيب بن عمرو بن يعد بن عوف ابن حارثة بن سعد بن عامر بن  
تيم الله بن مبشر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن حلف بن أفتل، وهو خشعم أنمار بن بجيلة بن عمرو  
بن لحيان مائة وأربعا وخمسين سنة، وكان سيد خشعم في الجاهلية وفارسها، وأدرك الإسلام فأسلم.  
وقال في كبره:

إذا ما امروء عاش النيدة سالما      وخمسين عاما بعد ذلك وأربعا  
تبدل مر العيش من بعد حلوه      وأوشك أن يبلى وأن يتسعسا  
ويأذى به الأدنى، يرضى به العبداء      إذا صار مثل الرّي أحدب أخضعا  
رهينة قعر البيت ليس بريمه      لقي ثاويا لا يبرح المهدي مضجعا  
يخبر عن من مات حتى كأنما      رأى ذا القرنين أو رأى نبعا

قالوا: وعاش ذو جدن الحميري الملك ثلاثمائة سنة.  
وقال في ذلك:

لكلِّ جنب اجتبا مضطجع  
اليوم تجزون بأعمالكم  
لو كان شيء حنقه  
وقال أيضا: يا إجتنا مهلا ذرينا  
يا إجتنا تستعتبينا  
يوم يغيّر ذا النعيم  
إنّ المنايا يطلّعن  
فيدعنهم شتّى وقد  
والموت لا ينفع منه الجزع  
كلُّ امرئ يحصد مما زرع  
أفلت منه في الجبال الصدع  
أفي سفاء تعذلينا  
فلا وربك تعتينا  
وتارة يشقى الحزينا  
على الأناص الأمنيّنا  
كانوا جميعا وافرينا

قالوا: عاش عبد اله بن سبيع الحميري مائة وخمسين سنة.  
وقال في ذلك:

أراني كلّما هرمتُ يوما  
يعود شبابه في كلّ فجر  
أتى من بعده يوم جديد  
ويأبى لي شبابي لا يعود

قالوا: وعاش مرداس بن صبيح بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد، من مذبح مائتي سنة وثلاثين سنة.  
وقال في ذلك:

أعاذلتي، دعي عدلي فإنّ  
"وحجور بطن من همدان، منهم معيوف بن يحيى".  
أنتني عن حجور منديات

قوافي قد أنتني من بعيد  
فإن تكُ كذبة من قوم سوء  
فإني قد كبرت ورق عظمي  
مرازي قد تتوب وطول عمر  
أدبُ على العصا لم يبق إلاّ  
فلا يغرركم كبري فإني  
فما أدري أזור أم ثبات  
فما تزدهيني المعذرات  
وأسلمني لدى الدّهر الهنات  
تثوب لها الهموم الطّارقات  
لسان صارم عضب حتات  
كريم، ليس في أمري شتات

قال أبو حاتم: وأظن البيت الأخير ليس منها.  
قالوا وعاش عمرو بن ربيعة، وهو لحيّ بن حاتة بن عمرو بن عامر بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن امرئ  
القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزدي؛ وعمرو بن لحي هذا هو أبو خزاعة غير ولد أفضى بن حارثة بن عمرو  
بن عامر.

قالوا: وقد يقال أنه لحي بن قمعة بن خندف بن مضر.  
قالوا: وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة، وحمي  
الحامي، وغير دين أبيه إسماعيل عليه السلام عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبو خزاعة، فكأني أنظر  
إليه يجرّ قصبه في النار، وأشبه ولده به أكثم بن الجون".  
فقال أكثم- وكان قاعدا-: يا رسول الله، بأي وأمي، هل يضربني الشبّضه؟ قال: "لا يضرك كان كافرا،  
وأنت مسلم".

عاش ثلاثمائة سنة، فكثر ماله وولده حتى بلغنا-والله أعلم- أنه كان يقاتل معه من ولده ألف مقاتل.  
قال أبو حاتم، قالوا، وعاش فيما ذكر ابن الكلبي عن أبيه، أوس بن حارثة ابن لام بن عمرو بن طريف بن  
عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن لوذان ابن رومان بن خارجة بن سعد بن جندب بن  
فطرة بن طيء، وهو جلهمة بن أدد ابن زيد بن يشجب بن عريب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ،  
وهو عبد شمس ابن يشجب بن يعرب، وهو قحطان بن عابر، وإلى قحطان تجتمع قبائل اليمن كلها.  
عاش مائتي سنة وعشرين سنة حتى هرم، وذهب سمعه وعقله، وكان سيد قومه وفي بيتهم؛ فبلغنا أن بنيه  
أرتحلوا، وتركوه في عرصتهم حتى هلك فيها ضيعة؛ وهم يُسبون بذلك اليوم.  
وفي ذلك يقول الأسحمر بن الحارث، أحد بني طريف بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن لوذان بن رومان  
من جديلة طيء.

على شظنان مات من الهزال

أتاني بالمحلة أن أوسا

خسياً من نسيج الصوف بال

تحمل أهله واستودعوه

ألا يا بوساً للشيخ المذال

تظل الطير تعفوه وقوعا

"السيّ الصوف الذي لم يجزّ إلا مرة واحدة، وكان الإعراب بالياء، ولكن لغة طيء أن يقولوا: رأيت  
زيد، فيحذفون الألف، وشظنان أرض ترك الشيخ بنوه بها".

قالوا: وعاش عديّ بن حاتم الطائي بن عبد الله بن حشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أحزم، وهو

هزومه بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو ابن الغوث بن طيء مائة وثمانين سنة، فلما أسن استأذن قومه وطاء يجلس عليه في ناديهم، وقال، إني أكره أن يظن أحدكم أيّ أرى لي عليه فضلا، ولكني قد كبرت ورقّ عظمي.

فقالوا: ننظر.

فلما أبطأوا عليه أنشأ يقول:

أجيبوا يا بني ثعل بن عمرو  
فإني قد كبرت ورقّ عظمي  
وأصبحت الغداة أريد شيئا  
وطاء يا بني ثعل بن عمرو  
فإن ترضوا به فسرور راضٍ  
سترك ما أردت لما أردتم  
لأنني من مساءتكم بعيد  
وإني لا أكون بغير قومي  
ولا تكفوا الجواب من الحياء  
وقلّ اللحم من بعد النقاء  
يقيني الأرض من برد الشتاء  
وليس لشيخكم غير الوطاء  
وإن تأبوا فإني ذو إباء  
وردك من عصاك من العناء  
كبعد الأرض من جوّ السماء  
فليس الدلو إلا بالرشاء

فأذنوا له أن ييسط في ناديهم، وطابت به أنفسهم، وقالوا، أنت شيخنا وسيدنا وابن سيدنا، وما فينا أحد يكره ذلك ولا يدفعه.

قالوا: عاش عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن ببيعة الغساني ثلاثمائة سنة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام فلم يسلم، وكان منزله الحيرة، وكان شريفا في الجاهلية.  
وقال:

لقد بنيت للحدثان بيتا  
رفيع الرأس أجوى مشمخرا  
وقال يذكر من كان معه  
أبعد المنذرين أرى سواما  
تحاماه فوارس كلّ حيّ  
وبعد فوارس النعمان أرى  
وصرنا بعد هلك أبي قبيس  
لو أنّ المرء تنفعه الحصون  
لأنواع الرياح به حنين  
من ملوك قومه الذين مضوا  
تروح بالخورنق والدير  
مخافة أغضف عالي الزئير  
رياضا بين مرّة والفير  
كجرب الشتاء في يوم مطير

علانية كأيسار الجزور

تقسّمنا القبائل من معدّ

فحنن كضرة الضرع الفخور

وكنا لا يرام لنا حريم

وخرج بني قريظة والنظير

نؤدّي الخرج بعد خراج بصري

فيوم من مساة أو سرور

كذاك الهر دولته سجال

قالوا: وخرج بقبيلة في ثوبين أخضرين، فقال له إنسان: ما أنت إلى بقبيلة؛ فسمى بقبيلة بذلك، واسمه ثعلبة بن سنين.

قالوا: وعاش عدي بن واع بن العقي، الحارث بن مالك بن فهم بن غنم ابن دوس بن عبد الله، من الأزدي، ثلاثمائة سنة، فأدرك الإسلام، وأسلم، وغزا. وقال في ذلك:

من يدخل النار يلاق ضره

لا عيش إلا الجنة المخضرة

وقال:

للتراب أو بيت من الجندل

أعلم أن كل فتى مرة

أحمل على التقلّة لا أثقل

ذلك مكروه وأدعى، فإن

قالوا: وعاش شريح بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن سلمة، وهو الضباب بن الحارث بن كعب بن مذحج عشرين ومائة سنة فيما ذكر ابن الكلبي عن أبي مخنف، قال: أخبرنا أشياخنا من بني الحارث قالوا: ثم قتل في ولاية الحجاج بن يوسف مع ابن أبي بكر: فقال وهو يرتجز قبل أن يُقتل:

نُمت أدركت النبي المنذرا

قد عشت بين المشركين أعصرا

ويوم مهران ويوم تسترا

وبعده صديقه وعمرا

هيهات ما أطول هذا عمرا

والجمع في صفيهم والنهرا

قالوا: وعاش شرية بن عبد الجعفي من ججعفي بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن مذحج ثلاثمائة سنة، وأدرك الإسلام.

حدثنا أبو حاتم قال: وذكر الكلبي قال: سمعت أبا بكر بن قيس الجعفي يذكر عن أشياخه، وقد ذكره غيره وقالوا: وهو شرية بن عبد الله الجعفي، وقال في زمن عمر بن الخطاب، وهو بالمدينة: لقد رأيت هذا الوادي الذي أنتم به وما به قطرة ولا قصبه ولا شجرة مما ترون، وأدركت أخريات قومي يشهدون بمثل شهادتكم، يعني يقول "لا إله إلا الله" ومعه ابن له يهادي به في شجار، قد خرف، فقيل له: يا شرية، ما بال ابنك قد خرف وبك بقية؟

قال: أما والله ما تزوجت أمه حتى أتت على سبعون سنة، وتزوجتها ستيرة عفيفة إن رضيت رأيت ما تقربه عيني، وإن تأتت لي حتى أرضى، وإن ابني هذا تزوج امرأة فاحشة بدنية، إن رأى ما تقرّ به عينه تعرضت له حتى يسخط وإن سخط تلعبته حتى يهلك.

ثم قال شرية: وأحلف لا يبتز ثوبي واحد ولا اثنان، وإني بالثلاثة معذور.

قال أبو روق: حدثنا الرياشي قال، حدثنا الأصمعي قال، مرّ رجل يقوم يدفنون ميتا ورجل يقول:

**احثوا على ديسم من برد الثرى** **قدما أتى ربك إلا ما ترى**

قال: فقلت له، من هؤلاء؟ فقال: هذا ابني، وهذا بنوه.

قالوا: وعاش عبيد بن شراة الجرهمي ثلاثمائة سنة، وقال بعضهم، مائتين وعشرين سنة، إلا أنا نظن أنه

عاشها في الجاهلية، وأدرك الإسلام، فأسلم؛ وقدم على معاوية بن أبي سفيان.

فبلغنا أن معاوية قال له: أخبرني، كم أتى عليك؟ قال: مائتان وعشرون سنة.

قال: ومن أين علمت؟ قال: من كتاب الله.

قال: ومن أي كتاب الله؟ قال: من قول الله تبارك وتعالى "وجعلنا الليل والنهار آيتين، فمحونا آية الليل،

وجعلنا آية النهار مبصرة، لتبتغوا فضلا من ربكم" فقال له معاوية: وما أدركت؟ قال: أدركت يوما في

أثر يوم، وليلة في أثر ليلة متشابهة كمشابه الحذف يحذون يقوم في ديار قوم يكذبون، وما يبید عنهم ولا لا

يعتبرون بما مضى منهم، حيثهم يتلف، وملودهم يخلف، في دهر قد تصرف أيامه، تقلّب بأهلها كتقلبها

دهرها، بينا أخوة في الرّحاء إذا صار في البلاد، وبيننا هو الزيادة إذ أدركه النقصان، وبيننا هو حرّ إذا

أصبح فينا لا يدوم على حال، ولا تدوم له حال، بين مسرور بمولود ومحزون بمفقود، فلولا أن الحيّ يتلف

لم يسعهم بلد، ولولا المولود يخلف لم يبق أحد.

قال معاوية: يا عبيد، أخبرني عن المال، أية أحسن في عينك؟ قال: أحسن المال في عيني، وانفعه غناء،

وأقله غناء، وأبعده من الآفة، وأجداه على العامة عين حرارة في أرض خوارة، إذا استودعت أدّت، وإن

استحلبتها درّت فأفعمت، تعول ولا تُعال.

قال معاوية: ثم ماذا؟ قال: فرس في بطنها قد ارتبطت منها فرسا.

قال معاوية: فأبي النعم أحب إليك؟ قال: النعم لغيرك يا أمير المؤمنين.

قال: فلمن؟ قال: لمن فلاها بيده وبارها بنفسه.

قال معاوية: حدثني عن الذهب والفضة.

قال: حجران إن أخرجتهما نفذا، وإن خزنتهما لم يزد.

قال معاوية: فأخبرني عن قيامك وقعودك، وأكلك وشربك، ونومك، وشهوتك للباءة.  
 قال: أما قيامي فإن قمت فالسماء تبعد، وإن قعدت فالأرض تقرب؛ وأما أكلي وشربي إن جعت كلبت،  
 وإن شبعت بهرت؛ وأما نومي فإن حضرت مجلسا حالفني، وإن خلوت أطلبه فارقي؛ فإن بذلت لي  
 عجزت وإن مُنعت غضبت.  
 قال معاوية: فأخبرني عن أعجب سبب رأيته.  
 قال: أعجب شيء رأيته، أني نزلت بحمي من قضاة، فخرجوا بجنابة رجل من عذرة، يقال له، حُرَيْث بن  
 جبلة، فخرجت معهم حتى إذا واروه انتبذت جانبا عن القوم، وعيناها تذرْفان، ثم تمثلت شعرا كنت  
 رويته قبل ذلك:

يا قلب إنك في أسماء مغرور	اذكر، وهل ينفكك اليوم تذكيرا؟
قد بحثت بالحب ما تخفيه	حتى جرت بك إطلاقا محاضير
تبغي أمورا فما تدرس أعاجلها	خير لنفسك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا، وارضين به	فيما العسر إذا دارت مياسير
وبينما المرء في الأحياء مُغْتَبَطَا	إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير
حتى كأن لم يكن إلا تذكره	والدهر أية ما حال دهاير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه	وذو قرابته في الح مسرور
وذاك آخر عهد من أخيك إذا	ما المرء ضمنه اللحد الخناسير

الخنسیر والجمع الخناسير، ويقال الخناسرة، وهم الذي شيعوا الجنابة.  
 فقال رجل إلى جاني يسمه ما أقول: يا عبد الله، من قال هذه الأبيات؟ قلت: والذي أحلف به، ما أدري  
 أي قد رويتها منذ زمان.

قال: قائله الذي دفناه آنفا، وإن هذا ذو قرابته أسرُّ الناس بموته، وإنك للغريب الذي وصف تبكي عليه.  
 فعجبت لما ذكر في شعره والذي صار إليه من قوله، كأنه كان ينظر إلى موضع قبره.  
 فقلت: إن البلاء موكل بالمنطق قالوا: وعاش سيف بن وهب بن جذيمة بن عمرو بن ثعلبة بن حيان بن  
 ثعلبة، وهو جرم، وإنما سمي بجرم لحاضنة كانت له تسمى "جرما" مائتي سنة فيما ذكر ابن الكلبي عن  
 محمد بن عبد الرحمن الأنصاري، وهو من بلي، ثم من بني العجلان عن أشياخه.  
 وأما ابن الكلبي فقال: عاش ثلاثمائة سنة، وقال في ذلك:

ألا إنني عاجلا ذاهب  
لبست شبابي فأفنيته  
وصاحبني حقبة فانقضى  
وخصم دفعت، ومولى نفعت  
وچار منعت، وفتق رتقت  
إذا الصدع أعيأ به الشاعب

قالوا: وعاش عامر بن خوين بن عبد رضا بن قمران بن ثعلبة بن عمرو بن حيان "ابن ثعلبة"، وهو جرم بن عمرو بن الغوث بن طيء مائتي سنة.  
وقال في ذلك:

ماذا أرجى من الفلاح إذا  
مستعززا أطرد الكلاب عن الظل  
قنعت وسط الظائن الأول  
إذا ما دنون للحمل

وقال:

المرء يبكي للسلا  
أو سالم من قد تنثى  
أو دب هرم وأو  
أودي الزمان بأهله  
مة، والسلامة لا تحسه  
جلذه وأبيض رأسه  
دي سمعه وأنفق ضرسه  
وبأقريبه فقل أنسه

قالوا: وعاش الحارث بن مضاض الجرهمي، من جدهم الأكبر، وهو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن نوح عليه السلام أربعمائة سنة.  
وهو القاتل:

يا أيها الحي المقيمونا  
إذا قال ركب لركب سائرين معا  
حئو المطى وأرخوا من أزمته  
كنا أناسا كما أنتم فغيرنا  
قد مال دهر علينا ثم أهلكا  
يا أيها الناس سيروا إن قصركم  
هؤو، فيوشك يوما لا تهبونا  
لا بد أن تسمعونا أو تغنونا  
قبل الممات، وقضوا ما تقضونا  
دهر فسوف كما كنا تكونونا  
بالبغي منه، فكل الناس يأسونا  
أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

وقال أيضا:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا  
بلى، نحن كنا أهلها، فأزلنا  
أنيس، ولم يسمر بمكة سامر  
صروف الليالي والجدود العواثر

قالوا: وعاش جعفر بن قرط العامري ثلاثمائة سنة، وأدرك الإسلام، فقال:

لم يبق يا خذلة من لداتي  
من مسقط الشمس إلى الفرات  
أبو بنين لا ولا بنات  
إلا يُعدُّ في الأموات

هل مشترٍ أبيعهُ حياتي وعاش عباد بن أنف الكلب الصيدأوي، من بني أسد عشرين ومائة سنة، وقال:

عمرت، فلماً جرت ستين حجة  
فقلت لهم بالله هل تتكروني  
وستين، قال الناس: أنت مفند  
وهل عابني إلا السخا والتمجد

"السخاء ممدودة، والراوية: إلا التي والتمجد".

وإني جواد الكف سمح بما حوت  
أجود وأحمي المستجير من الردى  
يذاي من المعروف لا أتلد  
إذا عرّد النكس الأحم الألد

ويوما ترى الأبطال من خوف شره  
شهدت فجليت البلايا وأوقعها  
سكاري، عليهم غيبة تتردد  
بأسمر نحو المبتغي الشر يقصد

ورزق كمستدمي الغزال سبأته  
فقلت لهم علوا وتلك مطيبي  
لفتيان صدق ردهم ليس ينفذ  
بكفي غضب مشرفي مهذ

ففادت وقام الطاهيان فأوقدوا  
بعلياء نارا حمها ليس يبرد  
فلمأ اشتفوا منها وأدبر وحشهم  
وقلت لهم إني حميل بمثل ما

ففادت أي بردت وماتت، ويروى فكاست، يعني قامت على ثلاث قوائم الأوق الشدة، يقال، إنه لذو أوق.  
قال أبو روق، وقال الرياسي: رأى رجل في المنام رجلا مسرفا على نفسه، فسأله عن حاله، فقال، ما لقيت بعدكم أوقة.  
وحشهم جوعهم؛ ويقال بات فلانا وحشا.

الحميل، والكفيل، والضمين، والصبير، والزعيم سواء.

قالوا: وعاش عامر بن الظرب العدواني مائتي سنة، وكان حكما للعرب.  
وفيه يقول ذو الإصبع العدواني:

**ومنا حكم يقضى**

**فلا ينقض ما يقضى**

وهي أبيات.

وإنما قيل له ذو الإصبع، لأنه كانت له في رجله إصبع زائدة، وكان من أمره، أن وجأ، وهو وادي الطائف، وهو حرم الطائف الذي حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يصطاد صيدها، ولا يحتلي خلأؤها، وكان ثقيف، وهو قس بن منبه باليمن، أبو رغال فصدقه، فأخذ شاته اللبون، وترك الأخرى، فأبى ثقيف أن يتركها، وقال، فيها قوتي، فأبى أن يتركها، فرماه ثقيف، فقتله، ثم لحق بالطائف فوجد فيها ظربا شيخا كبيرا، فأخذه، فقال، لتؤمّني أو لأقتلنك، ثم لتترلي أفضل أرضك متزلا، فأمنه، وأنزله. فلما جاء عامر ابنه قال له: بي أبتاه، من هذا؟ قال: هذا رجل تبوا وادينا بغير حمد أحد. فقال عامر بن ظرب:

**أرى شعرات على حاجبي**

**نبتن جميعا توأما**

**أظل أهاهى بهنّ الكلاب**

**أحسبهنّ صوارا قياما**

أهاهى أزجرها، أقول هأها.

**وأحسب أنفي إذا ما مشيت**

**شخصا أمامي رأني فقاما**

قال أبو حاتم، وذكر أصحابنا عن الشعبي أن ابن عباس قال، قضى عامر بن الظرب العدواني، من جديلة قيس، على العرب بعد عمرو بن حممة الدؤسي، فأتى عامر بخنثى له، ما للرجل وما للمرأة، فأشكلت عليه، فأقام أربعين يوما لا يقضى فيه بشيء، فأتته أمة سوداء تسمى "خصيلة"، فقالت: يا أيها الشيخ، أفنيت علينا ماشيتنا؛ وإنما أفناهنّ أنه كان يذبح لأصحاب المسألة كل يوم شاة. فقال: ويلك، إني أتيت في أمر لا أدري أصعد فيه أم أصوب. فقالت: وما ذلك؟ قال: أتيت بمولود له، ما للرجل وما للمرأة. قالت: وما يشقّ عليك من ذلك؟ أتبعه المبال، أقعده، فإن كان يبول من حيث يبول الرجل فهو رجل، وإن كان يبول من حيث تبول النساء فهي امرأة. قال - وكان كثيرا ما يعاتب الأمة في رعيته إذا سرحت - فقال، أسئي يا خصيل أو أحسني فلا عتاب عليك، قد فرجتها عني. فلما أصبح قضى بالذي أشارت.

فلما جاء الإسلام شدّد القضية، فصارت سنّة في الإسلام، يعني الإسلام شدّدها.

قالوا: وعاش عامر مائتي سنة، وقالوا، ثلاثمائة سنة.

قال أبو حاتم، ذكروا ذلك عن مجالد عن الشّعبيّ؛ قال أبو روق، وحدثناه الرياشيّ، قال، حدثنا عمر بن بكير عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشهيبي قال، كنا عند ابن عباس، وهو في ضفة زمزم فيقي الناس إذ قال أعرابي، أفتيت الناس فأفتنا.

قال: هات.

قال: رأيت قول الشاعر المتلمّس:

**لذي الحلم قبل اليوم ما تفرغ العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما**

قال ابن عباس: ذاك عمرو بن حممة الدّوسيّ، قضى على العرب ثلاثمائة سنة، فكبر، فألزمه السابع من ولده، فكان معه، فكان الشيخ إذا غفل كانت الأمانة بينه وبينه أن تفرغ العصا حتى يعاوده عقله، فذلك قول المتلمس اليشكريّ من بكر ابن وائل: لذي الحلم قبل اليوم ما تفرغ العصا قال ذو الإصبع العدوانيّ بعد ذلك بدهر:

**ن كانوا حيّة الأرض**

**فلم برعوا على بعض**

**ت والموفون بالقرض**

**ء والشنآن والبغض**

**س في بسط ولا قبض**

**بسرّ النسب المحض**

**فلا ينقض ما يقضي**

**عذير الحيّ من عدوا**

**بغى بعضهم بعضا**

**ومنهم كانت السّادا**

**وهم بلغوا على الشّحنا**

**مبالغ لم ينلها النّا**

**وهم إن ولدوا أشبوا**

**ومنهم حكم يقضي**

يعني عامر بن الظّرب.

أشبي الرجل إذا شبّ ولده.

فلما كبر عامر وتحوّف قومه أن يموت اجتمعوا إليه، فقالوا له، يا سيدنا وشريفنا، أوصنا.

فقال: "يا معشر عدوان، كلفتموني تعباً، إن القلب لم يخلق، ومن لك بأخيك كلّ، إن كنتم شرّفتُموني فقد التمسّت ذلك منكم، وإني قد أريتكم ذلك من نفسي، وأتّي لكم مثلي، افهموا عني ما أقول لكم؛ من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل أولى به، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل، ولم يزل

الباطل ينفر من الحق، لا تفرحوا بالعلق ولا تشتموا بالزلة، وبكل عيش يعيش الفقير، ومن ير يوماً ير به، وأعدوا لكل أمر قدره، قبل الرّماء تملأ الكنائن، ومع السفاهة الندامة، والعقوبة نكال وفيها ذمامة، فلا تدموا العقوبة، واليد العليا معها عافية، والقود راحة لا عليك ولا لك، وإذا شئت وجدت مثلك، إن عليك كما أن لك، وللكترة الرعب وللصبر الغلبة، من طلب شيئاً وجدته، وإلا يجده يوشك أن يقع قريباً منه.

فيا معشر عدوان، إياكم والشر فإن له باقية، وادفعوا الشر بالخير يغلبه، إنه من دفع الشر بالشر رجع الشر عليه، وليس في الشر أسوة، ومن شبقكم إلى خير فاتبعوا أثره تجدوا فضلاً، إن خالق الخير والشر وسعهما، ولكل يد منهما نصيب.

يا معشر عدوان، إن الأول كفى الآخر، فمن رأيتموه أصابه شر فإنما أصابه فعله، فاجتنبوا ذلك الذي فعله؛ يا معشر عدوان، إن الشر ميت، وإنما يأتيه الحي فيصيبه، ومن اجتنب الشر لم يثب الشر عليه؛ يا معشر عدوان، إن الخير عزوف ألوف، ولم يفارق الخير صاحبه حتى يفارقه ولن يرجع إليه حتى يأتيه؛ يا معشر عدوان، ربوا صغيركم، واعتبروا بالناس ولا يعتبر الناس بكم، وخذوا على أيدي سفهائكم تقلل جر أترككم، وإياكم والحسد فإنه شؤم ونكد، وإن كل ذي فضل واجد أفضل منه، ومن بلغ منكم حطة خير فأعينوه واطلبوا مثلها، ورغبوه في نيتها، وتنافسوا في طريقته، ومن قصر فلا يلومن إلا نفسه، وإني وجدت صدق الحديث طرفاً من الغيب فاصدقوا تصدقوا.

"يقول من لزم الصدق وعوده لسانه وفق فلا يكاد يتكلم بشيء يظنه إلا جاء على ظنه".

وإني رأيت للخير طرقاً فسلكتها، ورأيت للشر طرقاً فاجتنتها، وإني والله ما كنت حكيماً حتى تبعت الحكماء، وما كنت سيّدكم حتى تعبدت لكم، إن الموعظة لا تنفع إلا عاقلاً، وإن لكل شيء داعياً، فأجيبوا إلى الحق وادعوا إليه وأذعنوا له "يريد ذلوا للحق".

وكان من حديث عامر أنه زوج ابنته فعمة ابنة عامر ابن أخيه عامر بن الحارث ابن ظرب، وقال لأمها، وهي ماوية بنت عوف بن فهر حين أراد البناء بها: "يا هذه، مُري ابنتك فلا تترلن فلاة إلا معها ماء، وأن تكثر استعمال الماء فلا طيب أطيب منه، وإن الماء جعل للأعلى جلاء وللأسفل نقاء، وإياك أن تميلي إلى هواك ورأيك فإنه لا رأي للمرأة، وإياي ووصيتك، فإنه لا وصية لك، أخبري ابنتك، أن العشق حلو، وأن الكرامة المؤاتاه، فلا تستكرهنّ زوجها من نفسها، ولا تمنعه عند شهوته، فإن الرضا الإتيان عند اللذة، ولا تكثر مضاجعته فإن الحسد إذا ملّ ملّ القلب، ومريها فلا تمزحنّ معه بنفسه، فإن ذلك يكون منه الانقباض، ومريها فلتخبأ سوءها منه، فإنه وإن كان لا بد من أن يراها فإن كثرة النظر إليها استهانة وخفة".

فلما أدخلت الجارية عليه نفرت منه ولم ترده.

فأتى ابن أخيه العمّ، فشكا ذلك إليه، فقال له عامر: "يا ابن أخي، إنها وإن كانت ابنتي فإن لك نصيباً مني" أو قال، فإن نصيبك الأوفر مني" فاصدقني، فإنه لا رأى لمكذوب، فإن صدقتني صدقتك، إن كنت نفرتها فذعرتها، فاخفض عصاك عن بكرتك تسكن، وإن كانت نفرت منك من غير إنفار فذلك الداء الذي ليس له دواء، وإلا يكن وماق ففراق، وأجمل القبيح الطلاق، ولم نترك أهلك ومالك، وقد خلعتها منك بما أعطيتها، وهي فعلت ذلك بنفسها.

فرعمت علماء العرب أن هذا أول خلع كان في العرب وثبت في الإسلام.

وكان من حديث عامر بن الظرب أيضاً، أنه كان يدفع بالناس في الحج، وذلك أنه كان وقومه طلبوا أن يجيزوا من ورد عليهم من تلقاء محلّتهم ببطن وجّ، وكان طريق أهل السّراة، وهم أزد شنوءة، فدخلوا على صوفة، فكانوا يجيزون عدوان يوماً، وصوفة يوماً، وكان الذي يتولى إجازة الحج من عدوان أبو سيّارة العدواني "هكذا أملاه أبو حاتم، وليس بمستو العدواني"، فقال:

لا تطعني فتتهيجي الناس بالظعن

ياربّة العير رديّه لمرتعته

تمّت بلا كدر فيها ولا منن

أضحت أيادي بني عمرو مجلّة

الشكر منّا لما أسدوا من الحسن

ثواب ما قد أتوه عندنا لهم

فأجاز أبو سيّارة العدواني بالناس أربعين سنة على عير له، حتى إن كانت العرب لتضرب المثل به فتقول: أصحّ من عير أبي سيّارة.

قال: فينا عامر يدفع بالناس إذ بصر به رجل من ملوك غسان فأعجبه نحوه فكلمه، فإذا أحكم العرب وأحلمهم، قولاً، وفعلاً، وفعلاً. فحسده الغسانيّ، وقال في نفسه، لأفسدته.

فلما صدر الحاجّ أرسل الملك إلى عامر، أن زرني حتى أتخذك خلاً، وأحسن جباةك، وأعظم شرفك. فأقبل عامر على قومه، فقال، ماذا ترون؟ قالوا: نرى ألا تردّ رسوله، اشخص، ونشخص معك، فتصيب من رفته ونفعه، ونصيب معك، ونتّجه بجاهك. فخرج وخرج معه نفر من قومه.

فلما دخل بلاده تكشف له رأيه وأبصر أنه قد أخطأ، فجمع إليه أصحابه، فقال: "ألا ترون أن الرأي نائم والهوى يقظان، وقد يغلب الهوى الرأي، ومن لم يغلب الهوى بالرأي ندم، وعجلت حين عجلتم عليّ، ولئن سلمت لا أعود بعدها لمثلها، وإنا قد تورّطنا في بلاد هذا الرجل، فلا تسبقوني بريث أمر أقيم عليه، ودعوني ورأيي وحيلتي لكم".

فقدم على الملك، فضرب له قبة ونحر له جزورا.

فقال له القوم: قد أكرمنا كما ترى، وما وراء هذا خير منه.

فقال: لا تعجلوا، فلكلّ عام طعام، ولكل راع مرعى، ولكل مراح مريح، وتحت الرّغوة الصريح. فمكثوا أياما، ثم أرسل إليه الغساني، قد رأيت أن أجعلك الناظر في أمر قومي، فإنني قد رضيت عقلك وأتفرغ للذّي ومركبي، فما رأيك؟ فقال: أيها الملك، ما أحسب أن رغبتك فيّ بلعنتك أن تجعل لي ملكك، فقد قبلت إذ وليتني أمور رعيتك وقومك، وإن لي كثر علم، وإن الذي أعجبك من علمي إنما هو من ذلك الكثر، أحتذى عليه وقد خلّفته خلفي، فإن صار في أيدي قومي علم كلهم مثل علمي، فأذن لي حتى أرجع إلى بلادي فأتيك به، فإن صرت بهذا العلم إلى بلدك أبحته ولدك وقومك حتى يكونوا كلهم علماء.

وكان الملك جاهلا، فطمع أن يقطع أصل العلم من عندهم، ويصير لقومه دونهم. فقال له الملك: قد أذنت لك بتعجيل الرّجعة.

فقال له عامر: إن قومي أضنّاء بي، فاكتب لي كتابا بجباية الطريق فيرى قومي طمعا يطيب أنفسهم عني، واستخرج كترتي، وأرجع إليك. فكتب له بذلك.

فعاد إلى أصحابه، فقال: ارتحلوا.

فقالوا تالله ما رأينا وafd قوم قطُّ أبعد عن نوال، ولا أحميد عن مال.

قال لهم: مهلا، فإن أفضل الرزق الحياة، ولها يراد الرزق، وقال، ليس على الرزق فوت، وغنم من نجا من الموت، ومن يرد باطنا يعيش واهنا، "يقول من لم ينظر في المتعقّب عاش واهنا ضعيفا، والباطن ها هنا المتعقّب والنظر في العاقبة".

ولو أخذ في لومكم لا تبعت قولكم، ويل أمّ الآيات والعلامات، والنظر والاعتبار، والفكر والاختبار.

ثم قدم على قومه، فقال: ربّ أكلة تمنع أكالات، وسنة تجبر سنوات ثم أقام، فلم يعد.

وكان من حديث عامر بن الظرب أيضا أنه خطب إليه صعصعة بن معاوية ابنته، فقال: يا صعصع، قد جئت تشتري مني كبدي، وأكرم ولدي عندي، منعتك أو بعثك، النكاح خير من الأئمة، والحسب كفاء الحسب، والزوج الصالح يعدّ أباً، قد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك، يا معشر دوس: "قال، وقال أكثر أصحابنا يا معشر عدوان: "خرجت كرىمتكم من بين أظهركم من غير رغبة عنكم، ولكنه من خطّ له شيء جاءه، ربّ زارع لنفسه ما حاصده غيره، ولا قسم الظوظ ما أدرك الآخر مع الأول شيئا يعيش به، ولكن رزق آكل من آجل وعاجل، إن الذي أرسل الحيا أنبت المرعى ثم قسمه "أي حفظ"، وكلا لكل فم بقلة، ومن الماء جرعة، ترون ولا تعلمون، ولن يرى ما أصف لكم إلا كلُّ قلب راع، ولكل رزق

ساع، ولكل خلق خلق، كَيْس أو حُمق، وما رأيت شيئاً قطّ إلا سمعت حسّه ووجدت مسّه، وما رأيت شيئاً خلق نفسه، وما رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً، وما رأيت جائياً إلا ذاهباً، ولا غائماً إلا خائباً، ولا نعمة إلا ومعها بؤس، ولو كان يميت الناس الداء لأعاشهم الدواء، فهل لكم في العلم العليم؟ قيل: وما هو؟ فقد قلت فأصبت، وأخبرت فصدقت.  
فقال: أرى أموراً شتى، وشيئاً شيئاً حتّى.

قالوا: وما حتّى؟ قال: حتى يرجع الميت حياً ويعود لاشيء شيئاً، ولذلك خلقت الأرض والسموات.  
فتولوا عنه ذاهبين.

فقال: ويل أمّها نصيحة، ولو كان لها من يقبلها بقبولها.

قالوا: وعاش سمعان بن هبيرة، وهو أبو السّمال الأسدي سبعا وستين ومائة سنة.  
وهو الذي يقول:

وهادئة من شيبتي وتحنني	وطول قعودي بالوصيد أفكرُ
تقول فنى سمعان بعد اعتداله	وبعد سواد الرأس فالرأس أزعُرُ
فقلت لها، لا تهزئي إن قصرك المنايا،	وريب الدّهر بالمرء يغدرُ
فكم من صحيح عاش دهرًا بنعمة	فحل به يوم أغرُّ مشهرُ
فصار لقي في البيت لا يبرح الفنا	رذياً عليه كآبة وتوفُرُ
وقد كان مدلاجاً إلى المجد متعباً	إليه المطايا عمره ليس يفتُرُ
فلما ترامته المنايا ورببها	تقوّس الظّهر فالخطوُ مقصرُ

"كذا قال أبو حاتم مقصر، وهو غلط، لأنه لا يقال: أقصر الخطو، إنما يقال قصر، ويجوز فالخطو مقصر، فجعل المصدر "الميمي" صفة للخطو".

وعاد كفرخ النّسر أعمى عن التي	يريد الدّهر يهذي ويهدر
فإن أكُ شيخاً فأنينا فلربما	أصبت الذي أقوى وما كنت أهدرُ
وربّ خبور جمّة قد لقيتها	وشر كثير عن شواتي تحدّر
"شواته جلدة رأسه".	

وخيل دعنتي للنّزال أجبتها	وفي الصيف الكف منى مشرفي مذكرُ
---------------------------	--------------------------------

وتحتي طمرّ مستطار فؤادُهُ  
فنازلت إذا نادوا نزال، ونلت ما  
فذلك دهر قد حلّو عيشة  
وقد كنت أباً على القرن مرجما  
وسليم الشظا نهد كميت مضمرّ  
ينال الكريم الأحوذى المشمرّ  
وغادرنى شلوا لي الذئب يكثر  
أجود وأحمى المسنفات وأخبر  
بدارة ذلّ علبلايا يوقرّ  
وللموت خير لامرئ من حياته

"علبلايا يريد على البلايا فادغم اللام؛ وقال أبو حاتم: وآخر حرف في كتاب سيبويه علماء بنو فلان يريد على الماء قالوا: وعاش فالج بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان ثمانين ومائة سنة، وكان فارسا، وكان عريضا، يعرض فيما ليس يعنيه، وهو الذي تضرب العرب به المثل، يقال للرجل إذا عرض فيما لا يعنيه "أنت من هذا الأمر فالج بن خلاوة".  
حدثنا أبو حاتم: قال أخبرنا به أبو زيد فقال "أنت كفالج بن خلاوة، ولا عقب لفالج".  
وقال يذكر اعتراضه فيما لا يعنيه:

أالرّب أمر معضل قد ركبته  
فأفتشع عني لم يضرني وربّما  
وقد كنت ذا بأو على الناس مرّة  
فلما رمانى الدهر صرت رزيّة  
فيا دهر قدما كنت صعبا فلم تزل  
فقد صرت بعد العزّ أغضى مذلة  
فكم قد رأيت من همام متوّج  
فأصبح بعد التّه كالعزّ ذلة  
وأخر قد أبصرته متعلّفا  
يديّن له الأقوام سرا وجهرة  
كذلك هذا الدهر صارت بطونه  
فصبرا على ريب الزمان وعضّه  
خذ العفو واقنع بالصّحاح فرّبما

الصّحاح الصّحة مثل الضّجاج والضّجّة، وأنشد: وخطّ أيام الصّحاح والسّقم وقال

أدرك مال غيره بجنبه  
كأنما يحتاز ماء شنه

معترض لعنن لم يعنيه  
فاحتاز شيئاً لم يكن من ظنه

قالوا: وعاش جروة بن يزيد الطائي، وكان يتزل بلخ خراسان، نزلها أيام عبد الله بن عامر، وهو ابن قريب من مائة سنة، وقتل مع سورة بن أبجر، وهو أشل اليد اليسرى، ضربت يده يوم زحف التُّرك إلى الأحنف بن قيس، فشلت يده، فأعطاه الأحنف ديتَهَا، ومتب إلى ابن عامر فأعطاه ديتها أيضاً، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

وكتب إلى الأحنف: كافي على البلاء فإن الله يحب الشَّاكرين.

وكان يكثر الغزو، وهو شيخ كبير، وكان لا يليق شيئاً سخاء، وكان شجاعاً مسيئاً وهو الذي يقول:

وغرُّ الغرور أولى باللام  
بأنواع الشُّبارق والمُدَام

تلوم حليلتي بالغزو جهلاً  
ولولا الغزو كنت كمن يغادى  
"الشُّبارق الطعام، لفظ فارسي معرب".

ويرضى بالقليل من الطَّعام  
وغزوي، إنَّه همُّ الكرام  
وبأسا حين تزحف للزُّحام  
لحرب يستطار لها عُقام

قليا الهمُّ يزهدُ في المعالي  
فهميَّ غير همِّك فاتركيني  
سأغزو التُّرك إنَّ لهم عُرَاما  
هو الومت الزُّوام إذا تنادوا

حدثنا أبو حاتم قال: أخبرنا أبو عبيد قال، الزُّوام الموت الوحيّ.

على جرد عوابي كالجلام  
فاضت لا تضجُّ من الكلام  
مباشرة الأسنَّة والسَّهام  
عتيد، كلُّ مصقول حسام  
أمام الخيل ظاهرة القسام  
عليه مثل نبراس النِّهام  
ولا يندد للحلق التُّوام

تراهم في الحديد كأسدٍ غاب  
طووها للغوار فأضمروها  
ولا تتحاش من دعر ولا من  
وعندي حين أغزوهم عتاد  
وكلُّ طمرَّة مرطى سبوح  
وكل متقفٌ لدن عسول  
إذا أنحيته في القرن أصمى

لا يندد لا ينثني، والتُّوام يعني حلقتين، وهذه دروع حلقتها مضاعف.

تمشوا مشية الإبل الهيام

وفتيان إذا ندبوا الحرب

يرون عليهم الله حقاً

يريدون المثوبة من إله

قسطل، غبار.

مقارعة الطمّاطمة الطغام

بصير تحت قسطل القتام

ويحوى منفسا في كلّ عام

وراجي الله يرجع بالسّلام

وربّ البيت والشّهر الحرام

إلى حليلتي، قدر الحمام

ولا أتى بدهية وذام

بكلّ مذمّم جلد العظام

على الأبطال يعرف بالزّحام

وكلّهم يرادي التّرك قدما

ويرجو الله لا يرجو سواه

وقالت قد كبرت فقلت كلاً

لقد أبطلت، ما كبري بمُدبي

سأغزو أو أموت كذا خفاتا

فإنّ الدّهر يلعب أبرديه

ويترك كلّ مضعوف جريء

وهو الذي يقول لامرأته:

وقالت قد كبرت، وقلت حقاً

عتابك كلّ يوم لي عذاب

فإن لم تصبري وكرهت قربي

سأغزو التّرك في نفرٍ كرام

يروون الموت أفضل من حياة

وفي الأيّام لي عظة وناه

لأنّي أطلب الأمر الذي لا

فيا ليت السيوف تعاورتي

فألقي الموت مشتهدا فعالي

وكفّي طلّتي وتجنّبيني

وقد أغدو أقود إلى المنايا

إذا ما عاينوا موتا زؤاما

رجاء أن تصيبهم المنايا

كبرت، فكفكفي ودعي عتابي

ومثلي لا يقرّ على العذاب

فدونك ما أردت من اجتنابي

سراع حين ندعى للضّراب

تصيرها الدّهور إلى تباب

وما أَرْضى معاتبة الكعاب

ينال بغير ضرب للرقاب

بأيدي معشر كأسود غاب

ولم تدنس بمخزية ثيابي

وكلّ العيش ويحك للذهاب

فتوا زجرهم بهل وهاب

تمشوا مشية الإبل الطراب

فينجوا من أليّمات العقاب

وقال أيضا:

لعمرى وقد جاوزت تسعين حجةً  
فما زادني صبري على ما ينوبني  
وأرجو وأخشى أن أموت ولم أقم  
أذلت لنا أركانهم بعد عزّة  
وتسعين أرجو أن أعمرها غداً  
من الذّهر ضعفاً لا، ولا كدّ لي زندا  
تخذّني بيض ضربنا بها السّعدا  
وكانوا أباءً حين تعلقهم صمدا  
فلست أرى ممّا فضي الله لي بدّاً  
فلا تهزئي منّا ولا تتعجّبي

وعاش بحر بن الحارث بن امرئ القيس بن زهير بن جناب بن هبل الكلبيّ مائة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام، فلم يسلم، وقال:

من عاش خمسين حولاً بعدها مائة  
وصار في البيت مثلّ الحلس مطّرحاً  
من السنّين وأضحى بعد ينتظر  
لا يستشار ولا يعطي ولا يذر  
طول المعاش وملّ الأقربون له  
طول الحياة، وشرّ العيشة الكدر

قالوا: وعاش مسعود بن مصاد بن حصن بن كعب بن عليم بن جناب بن هبل، من كلب، مائة سنة وأربعين سنة، وقال:

أصبحت يا أمّ بكر قد تخونني  
لا أستطيع نهوضاً بالسّلاح ولا  
ريب الزّمان وقد أزرى بي الكبر  
أمضى الهموم كما قد كنت أبتكر  
أمشي على محجن والرّأس مشتعل  
قد كنت في عصر لا شيء يعد له  
هيهات هيهات، طال العيش والعمر  
فبان منّي، وهذا بعده عصر

قالوا: وعاش امرؤ القيس بن حمام بن عبيدة بن هبل بن عبد الله بن كنانة ابن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن ربيعة، فقال في ذلك:

إنّ الكبير إذا طالت زمانته  
ومن يعيش زمناً في أهلة خرفا  
فإنّما حمله جنازة عار  
كلّاً عليهم إذا حلّوا وإن ساروا  
يذمم مرارة عيش كان أوّله  
حلّوا، وللذّهر إحلاء وإمرار

قالوا: وعاش عوف بن سبيع بن عميرة بن الهوان بن أعجب بن قدامة بن جرم بن ربّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة مائة سنة وثمانين سنة.

وقال في ذلك:

إلا هل لمن أجرى ثمانين حجة  
وما زالت الأيام ترمي صفاته  
وصار كفرخ النسر يهتزُّ جيده  
وبدّل من طرف جواد حشية  
وإني رأيت المرء يظعن جاره  
وإلى مائة عيش وقد بلغ المدى  
ونغتاله حتى تضعض وانحنى  
يرى دون شخص المرءِ شخصا إذا رأى  
ومن قوسه والرُمح والصَّارم العصا  
لنبيته لا بدَّ يوماً وإن ثوى

قالوا: وعاش عامر، وهو طابخة بن تغلب بن خلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاة خمسمائة سنة وعشرين سنة، ولا أعلمه. قال شعرا، وهو معروف بطول العمر.

قالوا: وعاش أبو الطَّمحان القبيّ حنظلة بن الشَّرقيّ، من بني كنانة بن القين ابن حسر بن شيع الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاة مائتي سنة. وقال في ذلك:

حننتي حانيات الدَّهر حتى  
قريب الخطو يحسب من رءائي  
كأنِّي خاتل يدنوا لصيد  
ولست مقيداً أني بقيد

حدثنا أبو حاتم، قال حدثني عدة من أصحابنا، أنهم سمعوا يونس بن حبيب النحويّ ينشد هذين البيتين كثيراً فيما زعم أصحابنا، وكان ينشد أيضاً:

تقارب خطو رجلك يا سويد  
وقيدك الزَّمان بشرّ قيد

قالوا: وعاش حارثة بن صخر بن مالك بن عبد مناة بن هبل بن عبد الله بن كنانة ابن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة مائة سنة وثمانين سنة حتى أدرك الإسلام فلم يسلم، وأسلم ابنه جناب بن حارثة بن صخر، وهاجر إلى المدينة، فجزع من ذلك جزعا شديداً. وأنشأ يقول:

تركك أباك بالأدوات كلاً  
فلا وأبيك ما باليت وجددي  
وأأمك كالعجول من الظراب  
ولا دمعا تجود به المآقي  
ولا أسفي عليك ولا انتحابي  
فعمرك لا تلوميني ولومي  
جنابا حين أزمع بالذهب

إذا هتف الحمام على غصون  
جرت عبرات عيني بانسكاب

جنابا، من عذيري من جناب  
وقربي كان أقرب للثواب

يذكرني الحمام صفى نفسي  
أردت ثواب ربك في فراقني

قالوا: وعاش عبّاد بن شدّاد اليربوعيّ مائة وثمانين سنة.  
وقال في ذلك:

أضحى رهينة بيت بين أعواد  
أحذب لم تبق منه غير أجلاذ  
فقد أكَعَع عني عدوة العادي  
أغدو على سلهب للوحش صيَّاد

يا بؤس للشَّيخ عبَّاد بن شدَّاد  
وتَهزأ العرس مني إن رأَت جسدي  
فإن تريني صعيفا قاصرا عنقي  
وقد أفئ بأثواب الرئيس وقد

قالوا: وعاش همّام بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم مائة وثمانين سنة.  
وقال في ذلك:

ورأيني شيخا صحوت كبيرا  
حسب الكبير مجرَّباً مخبورا  
مالي وأترك ماله موفورا  
فكفى بذاك لنائل تكديرا  
طرق السَّماحة يا أميم وعورا

إنَّ القواني قد عجبنا كثيرا  
قصد الغواني أن أردن هواتي  
إنِّي لأبذل للحليل إذا دنا  
وإذا أردت ثواب ما أعطيته  
إنِّي امرؤ عفُّ الخلائق لا أره

قالوا: وعاش أسيد بن أوس التميمي مائة وتسعين سنة، وقتل له ثلاثون ابنا في حرب كانت بينه وبين بني يشكر بن بكر بن وائل، فقال لمن بقي من ولده، وهو يوصيهم: "يا بني، إني رأيت مطلعا ترايلت حجارتة، وقد رأيتة أملس ليس فيه صدع، ورأيت الدهر فل الصُّخور، فليقترب بعضكم من بعض في المودّة، ولا تتكلوا على القرابة، فإن القريب من قرب نفسه، والأمور بدوات".

قالوا: وانطلق أسيد بن أوس إلى الحارث بن الهبولة الغساني، كان أخا معاوية بن شريف لأمه، أمهما ابنة رضا البارقي، يستمدّه في حرب بني الشَّقِيقَة، فلما قدم عليه قال "حمل" وهو رجل "يوثق في الشدّة بالقرابة وبصدق أهل الوفاء، إن خير السجّية ما لم يتكلّف، وخير الأعوان على النّجّل النساء" يعني بالنّجّل الأولاد، ومن اتّخذ أداء الحقّ الحيطة فقد كمل "والحيطة غاية الحفظ" والعفو منتهى البرّ، ومنتهى اليرّ الهوى، وبالصدّق تمام المرؤة، وبالكذب يحسر الأنصار، وبالقرناء تعتبر الرجال، وأغنى الخصال عن المادّة العفاف، والعفو ترك العقوبة، وترك العقوبة يسلب السّخيمة".

وقال أسيد بن أوس في حجة الغدر، عام قاتلوا أبا كرب بن زيد بن حسان بن تبع، فرجع إلى قومه بما أصاب، فقال "الزموا البريركم بنوكم، أخرجوا الغضب ودافعوا بالأيام القروض، فإن الرفق أبلغ، وآخر الدواء الكي، وخير الثواب الشكر، وخطل القول عورة، وبالمرسل يعتبر المرسل.  
قالوا: وعاش الأبيرد بن المعذر الرياحي مائة وعشرين سنة؛ وقال بعضهم، بل هو الأبيرد بن الحارث، من تيم الرباب بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس ابن مضر.  
وقال في ذلك:

شكير أعالي الرأس مني تفعأ

مشيب وأمسى لون وجهي أسعفا

ترامت به الأيام حتى تسعسا

ولم تجدي فينا لكفيك مصنعا

غرابيب في رأس امرئ غير أنزعا

قالوا: وعاش عبيد بن الأبرص الأسدي الشاعر من بني سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد مائتي سنة وعشرين سنة، ويقال، بل ثلاثمائة سنة.  
وقال في ذلك:

ألا هزئت مودودة اليوم أن رأت

وأن شاب أصداعي ومم مفرقي

فقلت لها لا تهزئي من مجرب

فإنك لو صاحبتي لم تعتبي

ليالي لوني واضح وذؤابتي

ترعى مخارم أيقة ولدودا

والنجم يجري أنحسأ وسعودا

يا ذا الزمانة هل رأيت عبيدا

عشرين عشت معمرا محمودا

وبناء شداد وكان أبيدا

ركضا وكدت بأن أرى داودا

ولتأتين بعدي قرون جممة

فالشمس طالعة، وليل كاسف

حتى يقال لمن تعرق دهره

مانتي زمان كامل ونضيئة

أدركت أول ملك نصر ناشئا

وطلبت ذا القرنين حتى فاتني

إلا الخلود، ولن ينال خلودا

إلا الإله ووجهه المعبودا

ما تبغني من بعد هذا عيشة

وليفنين هذا وذاك كلاهما

وقال أيضا:

لداتي بنو نعش وزهر الفراق

فنبت وأفناني الزمان وأصبحت

قالوا: وعاش كبير بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة مائة وعشرين سنة، وأدرك الإسلام فأسلم، وقال ابن اللكبي وغيره، بل عاش ثلاثين ومائة سنة، وكان يوم جيلة ابن تسع سنين، وولد عامر بن الطُّفيل في ذلك اليوم.

ووفد عار إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ابن نيّف وثمانين.

وقالوا: كانت أعطيات الناس ألفين وخمسمائة، فكتب معاوية إلى زياد أن ينقص الخمسمائة.

وحدثنا أبو حاتم قال، سمعت الأصمعيّ يقول، أراد أن يرده إلى ألفين.

فقال: ما بال العلاوة بين العدلين؟ فجاء ليبد ليأخذ عطاءه.

فقال زياد: أبا عقبل، هذان الخرجان.

"يعني الألفين".

- فما بال العلاوة؟ "يعني الخمسمائة".

قال: ألحق العلاوة بالخرجين، فإنك لا تلبث إلا قليلا حتى يصير لك الخرجان والعلامة.

قال: فأعطاه زياد ألفين وخمسمائة، ولم يعطها غيره.

فما أخذ عطاء آخر حتى مات رحمه الله.

وقال ليبد:

لزوم العصا تحفى عليها الأصابع

أدبُ كأني كلما قمت راع

أليس ورائي أن تراخت منيّي

أخبر أخبار القرون التي مضت

وقال:

وبقيت في خلف كجلد الأجر

وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

ففي الثلاث وفاءً للثمانينا

وفي تكامل عشر بعدها عمر

وسؤال هذا الناس كيف ليبد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم

وقال حين مضت له سبع وسبعون:

نفسى تشكّي إلى الموت مجهشة

إن تحدثي أملا يا نفس كاذبة

فلما بلغ مائة وعشرا قال:

أليس في مائة قد عاشها رجل

فلما بلغ عشرين ومائة، قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها

قال: وحدثنا الرياشي قال أبو روق، وحدثناه أبو الخطاب زياد بن يحيى الحسائي عن الهيثم بن الربيع قال، حدثنا أبي عن الشعبي قال، أرسل إلى عبد الملك بن مروان، وهو شاك، فدخلت عليه، فقلت: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟ فقال: أصبحت كما قال ابن قميئة أخو بني قيس بن ثعلبة.  
قال: وما قال؟ قال: قال:

كأنني وقد جاوزت تسعين حجة  
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى  
فلو أنها نبل، إذن لا تقيتها  
إذا ما رأني الناس قالوا ألم يكن؟  
فنبيت ولم تفن من الدهر ليلة  
على الرأحتين مرة وعلى العصا  
خلعت بها عني عذار لجامي  
فكيف بمن يرمي، وليس يرامي  
ولكنني أرمي بغير سهام  
جليدا شديد البطش غير كهام  
ولم يغن ما أفنيت سلك نظام  
أنوء ثلاثا بعدهن قيامي

فقلت: يا أمير المؤمنين، ولكنك كما قال لبيد بن ربيعة أخو بني جعفر بن كلاب.  
قال: وما قال؟ قلت: قال:

نفسى تشكي إلي الموت مجهشة  
فإن تزاذي ثلاثا تحدثي أملا  
وقد حملتك سبعا بعد سبعينا  
وفي الثلاث وفاء للثمانينا

فعاش والله يا أمير المؤمنين حتى بلغ تسعين حجة، فقال:

كأنني وقد جاوزت تسعين حجة  
فعاش حتى بلغ عشرا ومائة سنة، فقال في ذلك:  
أليس في مائة قد عاشها رجل  
فعاش والله يا أمير المؤمنين حتى بلغ عشرين ومائة، فقال في ذلك.

وغنيت سبتا بعد مجرى داحس  
فعاش حتى بلغ أربعين ومائة، فقال في ذلك:  
ولقد سئمت من الحياة وطولها  
لو كان للنفس اللجوج خلود  
وسؤال هذا الناس كيف لبيد

فقال عبد الملك، والله، ما بي بأس، أقعد حدثني ما بينك وبين الليل.  
فقدت، فحدثته حتى أمسيت، ثم فارقت؛ فمات في ليلته.

قال أبو حاتم، وعاش التمر بن تolib بن أقيش العكلي مائتي سنة حتى أنكر بعض عقله.  
فقال ذلك:

لعمري، لقد أنكرت نفسي ورابني  
وتسميتي شيخا وقد كان قبله  
وزهدي فيكفيني اليسير وإنني  
وظلعي ولم أكسر وإن حليلتي  
فصول أراها في أديمي بعد ما  
يحبُّ الفتى طول السَّلامة والغنى  
مع الشَّيب أبدالي الذي أتبدل  
لي اسم فلا أدعي به وهو أوَّل  
أنام إذا أمسى ولا أتعلَّل  
تحوز بنيتها في الفراش وأعزل  
يكون كفاف اللّحم أو هو أجمل  
فكيف يرى طول السَّلامة يفعل

قالوا: وعاش نصر بن دهمان بن بصر بن بكر بن سليم بن أشجع بن الرِّيث ابن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان مائة وتسعين سنة حتى سقطت أسنانه وابيض رأسه، فحزب قومه أمر احتاجوا فيه إلى عقله ورأيه.

فدعوا الله أن يرد عليه عقله وشبابه.

فرد الله عليه عقله وشبابه وفهمه، واسودَّ شعره.

فقال سلمة بن الخرشب الأماري، من أثمار بن بغيض، ويقال، بل عياض بن مرداس:

نصر بن دهمان الهنيدة عاشها  
وعاد سواد الرأس بعد ابيضاضه  
وراجع عقلا بعد عقل وقوة  
وتسعين حولا ثم قوم فانصاتا  
وراجعه شرخ الشَّباب الذي فاتا  
ولكنه من بعد ذا كله ماتا

قالوا: وعاش زهير بن مرخة، من بني وابش بن عدوان بن عمرو بن قيس ابن عيلان مائة وسبعين سنة.  
وقال في ذلك:

كبرت وأمست عظامي رمادا  
أقول لأهلي لا تطعنوا  
وما تأمل العين إلا رقادا  
وهاتوا فراشا وطينا وزادا

قالوا: وعاش ربيعة، وهو أبو جعاد من بني عدوان مائة وسبعين سنة.

وقال في ذلك: أبا جعاد اليوم أفناك الكبير والدَّهر فينان، فحرَّ وخصر أيام إذ تجني لك السَّمْن مضر في قيس عيلان وأحياء آخر قالوا: وعاش نابغة بني جعدة، واسمه، قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن

جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة مائتي سنة، وأدرك الإسلام، وأسلم.  
وقال حين وفت له مائة واثنى عشرة سنة:

مضت مائة لعام ولدت فيه  
فأبقى الدهر والأيام مني  
تقلل وهو مأثور جراز  
ألا زعمت بنو كعب بأنني  
فمن يحرص على كبري فإني  
وعشر بعد ذلك وحجّتان  
كما أبقى من السيِّف اليمان  
إذا جمعت بقائمة اليدان  
ألا كذبوا كبير السنِّ فإني  
من الفتیان أزمان الختام

الختان مرض أصاب الناس في أنوفهم وحلوقهم، وربما أخذ النغم، وربما قتل.  
وقتل أيضا:

لبست أناسا فأفنيتهم  
ثلاثة أهلين أفنيتهم  
وأفنيت بعد أناس أناسا  
وكان الإله هو المستأسا

المستأس المستعاض، مستفعل من الأوس، والأوس العطية عوضا.  
وقال أيضا:

قالت أمامة كم عمرت زمانة  
ولقد شهدت عكاظ قبل محلها  
وذبحت من عنز على الأوثان  
فيها وكنت أعدُّ ملفتيان

أراد من الفتیان.

والمنذر بن محرّق في ملكه  
وعمرت حتّى جاء أحمد بالهدى  
وشهدت يوم هجائن النعمان  
وقوارع تتلى من الفرقان  
ولبست ما لإسلام ثوبا واسعا  
من سيب لا حرم ولا منان

قالوا: وعاش قردة بن نفثة السلولي، من عمرو بن مرّة بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان مائة سنة وأربعين سنة، وأدرك الإسلام.  
وقال في إسلامه:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي  
وقد أروّي نديمي من مشعشعة  
حتّى لبست من الإسلام سربالا  
وقد أقلب أوراكا وأكفالا

قال أبو حاتم، ويزعمون أن البيت الأول للبيد، وأنه لم يقل في الإسلام غيره، والله أعلم.  
قالوا: وعاش زهير بن أبي سلمى الشاعر، وهو زيد بن ربيعة بن عمرو، ويقال، إنه من مزينة، وكذلك  
قال ابنه كعب في شعره؛ ويقال: إنه من عبد الله ابن غطاف مائة وعشرين سنة.  
وقال حين بلغ الثمانين:

سئمت تكاليف الحياة، ومن يعيش  
ثمانين حولاً، لا أبا لك يسأم

قال أبو حاتم، وكان الأصمعي يزعم في القصيدة لأنس بن زنيم.  
"قال أبو روق: غلط أبو حاتم، إنما كان الأصمعي يقول، القصيدة لصرمة ابن أنس الأنصاري".  
وأنس بن زنيم كان على عهد زياد وابنه.  
قال أبو حاتم، قال بعد ذلك:

ألا ليت شعري، هل يرى الناس ما أرى  
بدلي أنني عشت تسعين حجة  
من الأمر، أو يبدو لهم ما بدا ليا  
وعشرا وتسعا بعدها وثمانيا  
فلم ألفها لماً مضت وعددتها  
بحسبتها في الدهر إلا ليليا

وقال: وعاش ثوب بن ثلثة الأسدي، من بني والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه  
عشرين ومائتي سنة، وأدرك معاوية بن أبي سفيان، وقال:

وإن امرء قد عاش عشرين حجة  
لرهن لأحداث المنايا وإنما  
إلى مائتين، كلها، هو دائب  
يلهيّه في الدنيا مناه الكواذب

حدثنا أبو حاتم عن الكلبي قال: قال ابن الكلبي: سمعت أبي يقول، أدرك ثوب بن ثلثة معاوية، فدخل  
عليه، فقال: - ما أدركت؟ وكم عمرك؟ قال: لا أدري، إلا أدركت بني والبة ثلاث مرات- يريد أفنيت  
ثلاثة قرون-.

قال: فكيف بصرك اليوم؟ قال: أحد ما كان قط، كنت أرى الشخص واحدا فأنا أراه اليوم شخصين.  
قال: فكيف مشيك؟ قال: أمشي ما كنت قط، كنت أمشي تيدا، فأنا اليوم أهول هرولة.  
فقال: أدركت أمية بن عبد شمس؟ قال: نعم، وهو أمني يقوده عبد له، يقال له "ذكوان".  
فقال له معاوية: كف، فقد جاء غير ما رأيت يا ثوب.  
ثم قال معاوية: ليس في البيت إلا أموي، فانظر، أي هؤلاء أشبه بأمية.  
فنظر، ثم قال: هذا، لعمرو بن سعيد بن العاص، وهو عمرو الأشدق.

قال أبو حاتم، قال العتيبيّ، قيل له، الأشدق، لأنه كان خطيباً مفلحاً.  
قالوا: وعاش أمية بن الأسكر من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة دهراً طويلاً، وأدرك الإسلام فأسلم،  
وأسلم ابن له، يقال له "كلاب" وهاجر إلى المدينة، فخرج في لعث إلى العراق.  
فلما بلغ ذلك أباه أمية أنشأ يقول:

لمن شيخان قد نشدا كلابا  
أناشده ويعرض إلى إباء  
إذا هتفت حمامة بطن وج  
أتاه مهاجران تكفاه  
تركت أباك مرعشة يداه  
تُمسح مهده شفقاً عليه  
فإنك وابتغاء الأجر بعدي  
كتاب الله لو ذكر الكتابا  
فلا وأبي كلاب ما أصابا  
إلى بيضاتها ذكرا كلابا  
بترك كبيرة خطئا وخابا  
وأُمَّك ما تسبخ لها شرابا  
وتجنبه أباعرنا الضعابا  
كباغي الماء يتبع السرايا

قال ومربّعة كلاب منسوبة إليه، كان نزلها حين قدم البصرة.  
وقال أيضا أمية:

أعادل قد عدلت بغير علم  
فإمّا كنت عاذلتني فردّي  
سأستدعي على الفاروق ربا  
إن الفاروق لم يردد كلابا  
فلو فلق الفؤاد حماط وجد  
وما يدريك ويحك ما ألقى  
كلابا إذ توجه للعراق  
له، رفع الحجيج إلى بساق  
على شيخين هامهما زواق  
لهمّ سواد قلبي بانفلاق

فلما بلغ عمر كبره وشوقه كتب إلى سعد بن أبي وقاص بالكوفة، يأمره بإقفال كلاب بن أمية إليه  
بالمدينة.

فلما قدم عليه قال لأبيه أمية: أي شيء أحب إليك؟ قال: النظر إلى ابني كلاب.  
فدعاه.

فلما رآه قام إليه فاعتنقه، وبكى بكاء شديداً، وبكى عمر رقة لها؛ ثم قال: "يا كلاب، الزم أباك وأُمَّك،  
ولا تؤثرون عليهما شيئاً ما بقيا.

قالوا: وعاش قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر، وقيل حذافة بن زهر بن إباد بن نزار ثلاثمائة وثمانين سنة،

وقد أدرك نبينا عليه السلام، وسمع النبي صلى اله عليه وسلم حكمته؛ وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية، وأول من توكفاً على عصا، وأول من قال، أما بعد؛ وكان من حكماء العرب. وهو أول من كتب من فلان إلى فلان، وأول من قال في كتابه، أما بعد. زعمت العرب أنه سبط من أسباطها.

بذي الغيل من خفان أصبح حاردا

وأحكم من قس وأجراً ملذى

وقال الخطيئة:

من الرمح إن مسّ النفوس نكالها

وأقول من قس إذا مضى

وقس الذي يقول:

بحال مسيء في الأمور ومحسن

هل الغيث معطى الأمن عند نزوله

فهل ينفعني ليتني ولو أنني

وما قد تولى فهو قد فات ذاهبا

قال أبو حاتم: وذكروا أن وفد بكر بن وائل قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: -هل فيم أحد من قالوا: نعم.

قال: هل لكم علم بقس بن ساعدة؟ قالوا: مات يا رسول الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأني أنظر إليه بسوق عكاظ يخطب الناس على جمل أحمر، وهو يقول "يا أيها الناس، اجتمعوا واسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت؛ ثم

قال، أما بعد، فإن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لخبيراً، نجوم تغور، وبحار تمور ولا تغور، وسقف

مرفوع، ومهاد موضوع، أقسم قسّ قسما بالله وما أثم، لتطلبين من الأمر شحطا، ولئن كان بعض الأمر

رضى إن الله في بعضه سخطا، وما بهذا لعباً، وإن من وراء هذا عجباً، أقسم قسّ قسما بالله وما أثم، إن

الله ديننا هو أرضى من دين نحن عليه، ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون، أنعموا فأقاموا، أو تركوا

فناموا".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً: وسمعت لفظ بشعر ولساني لا ينطلق به.

فقال بعضهم: أنا أحفظ يا رسول الله، فهل ترى عليّ فيه شيئاً؟ قال: لا، الشعر كلام، فحسنة حسن،

وقبيحة قبيح، فهاته.

وذكروا أنه ابن عباس، فقال وهو يومئذ غلام لم يبلغ، فأنشده:

ن من القرون لنا بصائر

في الذاهبين الأوّلي

للموت، ليس لها مصادر

لما رأيت موارد

يمضي الأصغر والأكابر

ررورأيت قومي نحوها

ينجو من الباقيين غابر

لا يرجع الماضي ولا

لة حيث صار القوم صائر

أيقنت أنني لا محا

قال أبو حاتم، وذكروا أن قوما من إياد قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن حكمة قس فأخبروه، وكان أحسن أهل زمانه موعظة، وأنشدوه قوله:

عليهم من بقايا بزهم خرق

يا ناعي الموت والأموات في جدث

كما ينبه من نوماته الصعق

دعهم، فإن لهم يوما يصلح بهم

خلق مضوا ثم ماذا بعد ذاك لقوا

حتى يجيء بحال غير حالهم

منها الجديد ومنها الأوراق الخلق

منهم عراة وموتى في ثيابهم

قال أبو حاتم، وذكر حزم بن أبي راشد قال، أمني على رجل من أهل خراسان من مواعظ قس: "مطر ونبات، وآباء وأمّهات، وذاهب وآت في أوانات، وأموات بعد أموات، وضوء وظلام، وليال وأيام، وغني وفقير، وشقي وسعيد، ومسيء ومحسن، أين الأرباب العملة" أو قال الفعلة، إن لكل عامل عمله، كلاً، بل هو الله إله واحد، ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدي، وإليه المعادُ غداً، أما بعد، يا معشر إياد، فأين ثمود وعاد، وأين الآباء والأجداد، وأين الحسن الذي لم يشكر، والظلم الذي لم ينتقم؟ "أو قال: لم ينكر"، كلا ورب الكعبة ليعودن ما باد، ولئن ذهب يوماً ليعودن يوماً".

قالوا: وعاش عوام "أو عرام" بن المنذر بن زبيد بن قيس بن حارثة بن لأم، وأدخل على عمر بن عبد العزيز - رحمة الله - ليزمن "أي يكتب في الزماني".

قالوا: وكان عمر في الجاهلية دهرًا طويلًا.

فقال له عمر: ما زمانتك هذه؟ فقال فيما زعم ابن الكلبي، أخبرني رجل من بني قيس بن حارثة أنه قال لعمر ابن عبد العزيز:

على عهد ذي القرنين أم كنت أقدم

ووالله ما أدري أدركت أمّة

جأجئ لم يكسين لحما ولا دما

متى تنزعا عني القميص تبيّنا

قالوا: وعاش أنس بن نواس بن مالك بن حبيش، ويقال خنيس، بن ربيعة الجسري، من جسر محارب دهرًا، ونبت أسنانه بعدما سقطت؛ فقال:

وكيف الرباعي بعد ما شقّ بازله

أصبحت من بعد البزول رباعيا

إلى جذع تتل أخاكم ثواكله  
حبال الصبّا وانبتّ منّا وسائله

ويوشك أن يلقي تنيّاً وإن يعد  
إذا ما اتّغرنا مرّتين تقطّعت

قالوا: وعاش ثعلبة بن كعب بن زيد بن عبد الأشهل الأوسيّ فيما ذكر ابن الكلبيّ، عن عبد الحميد بن أبي عبس الأنصاريّ، عن أشياخ قومه ثلاثمائة سنة، وقال غيرهم، مائتي سنة. وقال ثعلبة:

خفاتا ما يجاب لهم دعاءُ  
فأضحى مقفرا منهم قباءُ  
فطال عليّ بعدهم الثّواء  
وأخلفني من الموت الرّجاء

لقد صاحبت أقواما فأضحوا  
وقوما بعدهم قد نادموني  
مضوا قصد السبيل وخلفوني  
فأصبحت الغداة رهين بيتي

قال أبو حاتم، وقال هشام، كانت اليهود تسمّى قباء قباذ بالذال، فسّمّتها الأنصار قباء. قالوا: وعاش طيء بن أدد خمسمائة سنة، وذكر هشام أنه سمع أشياخا من طيء يذرون ذلك، وأنه حمل من جبلة باليمن، وكان يقال له "ظريب" إلى جبلى طيء، فنسبوا إليه، وأقام بما حينا، وقتل العاديّ الذي كان بالجبليين. وقال طيء في ذلك:

لكل قوم مصبح وممسي

اجعل ظريبا كحبيب ينسى

وأقام بالجبليين حتى دفن بهما.  
وقال فيما سمعت من أشياخهم:

إن كنت عن ذلك تسألينا  
ثمّ تفرّقنا مباحضينا  
إذ سامنا الضيّم بنو أبينا

إنّا من الحيّ اليمانيّنا  
فقد ثوينا بظريب حينا  
لنيّة كانت لنا شطونا

قالوا: وعاش يزيد بن جبر بن حرثان بن جزء بن كعب بن الحارث بن معاوية ابن وائل بن مرّان بن جعفيّ خمسين ومائة سنة؛ وهو القائل:

زمان، فقد أودى أخو الجود حرثان  
وعبد يغوث قبل ذلك ومرّان

إنّا تريني قد بليت وغازني  
وأودى أبو جزء وعمرو كلاهما

وأودى بشيخي ذي المهابة جابر

ونال نذيرا وسط أركاح غمدان

غمدان قصر باليمن قال الأصمعيّ: ويقال لفلان ساحة يتركح فيها، ونذير ملك، وأركاح أفضيه، وفاد فلان هلك.

فهل أنا إلا مثل من فاد فاعلمي

ولا تجزعي كل امرئ مرة فإني

فلو أنّ حيا سالم من سهامه

لعاش الألى سميت ما عاش إنسان

قالوا: وعاش هاجر بن عبد العزّي الخزاعيّ دهر فيما ذكر ابن الكلبي عن أبي السائب المخزومي قال، حدثني به طلحة بن عبيد الله بن كريب الخزاعيّ، قال غيره، هو عميرة بن هاجر بن عمير بن عبد العزّي بن قمير الخزاعي، وهو جد عبد الله ابن مالك بن الهيثم بن عوف بن وهب بن عميرة بن هاجر بن عمير بن عبد العزّي بن قمير الخزاعي عاش سبعين ومائة سنة. وقال:

بليت وأقناني الزمان وأصبحت

هنيذة فقد أنضيت من بعدها عشرا

وأصبحت مثل الفرخ لا أنا ميت

فأسلى ولا حي فأصدر لي أمرا

وقد كنت دهرًا أهزم الجيش واحدا

وأطى، فلا منا عطائي ولا نذرا

وقد عشت دهرًا لا تجنّ عشيرتي

لها ميّتا حتى أخطّ له قرا

قالوا: وعاش جليلة بن كعب بن الحارث بن معاوية بن وائل بن مرّان بن جعفيّ تسعين ومائة سنة فيما ذكر ابن الكلبي عن الوليد بن عبد الله الجعفيّ. وقال:

وإنّ امرأ قد عاش تسعين حجّة

إلى مائة يرجو الفلاح لجاهل

يومل أن يبقى وقد مات ذو الندى

أبوك وأودى ذو الحمالة وائل

وجار الصفا والأرقمان كلاهما

فكيف ترجى الخلد أمك هابل

فلا ترج عمرا بعد من قال إنّما

بقاؤك في الدنيا ليال قلائل

قالوا: وعاش كعب بن رداة النخعيّ فيما ذكر ابن الكلبي عن بعض النخعيّين ثلاثمائة سنة وقال:

لقد ملني الأدنى وأبغض رؤيتي

وأنبأني ألاّ بخل كلامي

على راحتين مرّة وعلى العصا

أنو ثلاثا بعدهنّ قيامي

فيا ليتني قد سخت في الأرض قامة

وليت طعامي كان فيه حمامي

قالوا: وعاش عبد يغوث بن كعب بن الرّداة بن ذهل بن كعب بن قعين بن مالك بن النّخع بن عمرو بن  
علّة بن جلد بن مالك بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ سبعين ومائة سنة.  
وقال في ذلك:

بليت وقد كنت دهرا جديدا      وقد عشت دهرا أبيا جليدا  
أبعد ثمانين أنضيتها      وتسعين يا سلم أرجو الخلودا  
ومات أبي وأبو والدي      وذهل فأصبحت منهم وحيدا

قالوا: وعاش رجل من أسلم، ويقال هو أوس بن ربيعة بن كعب بن أمية الأسلمي مائتي سنة وأربع عشر  
سنة.  
وقال في ذلك:

لقد خلقت حتى ملّ أهلي      ثوائي فيهم، وسئمت عمري  
وحقّض لمن أنت مائتين عام      عليه وأربع من بعد عشر  
يملُّ من الثّواء وصبح يوم      يغاديه، وليل بعد يسرى  
فأبلى جدّتي وبقيت شلوا      وباح بما أجنّ ضمير صدري

قالوا: وعاش حارثة بن عبيد الكلبي، ومن ولده بطون، منظور، ومنصور ابن جمهور من بني حارثة،  
وأدرك الإسلام، وقد حجب دهرا طويلا.  
قال أبو حاتم، قال هشام، وكذا كانت العرب تفعل بالكبير منهم تحجبه قال هشام: وقال لي شملة بن  
مغيث، رجل من ولده، قال، أظنه عاش خمسمائة سنة، قال، وأنشدني شملة له:

ألا ليتني أنضيت عمري      وهل يجدى عليّ اليوم ليتي  
حننتي حانيات الدّهر حتى      بقيت رذية في قعر بيتي  
تأذى بي الأقارب إذ رأوني      بقيت، وأين مني اليوم موتي

قالوا: وعاش حارثة بن مرة بن حارثة بن عبد رضا بن جليل الكلبي خمسين ومائة سنة، وأصاهم سنة  
أجحفت بأموالهم فقال: لم يدع الدّهر لنا ذخيرة ولم يدع شحما ولا مريرة ولا لنا حام ولا بحيرة وشيب  
العارض والغديرة فصرت كالنّسر على الجديرة براضة من عمر يسيرة الجديرة اصل حائط أو بناء، وجذر  
كل شيء أصله، براضة بقية، ويقال تبرّضت الماء وغيره إذا أخذت بقية.  
قالوا: وعاش المحاج بن خالد بن الحارث بن قيس بن نصر بن عائذة ابن ذهل بن مالك بن سعد بن ضبة

حتى هرم، وملّ من الحياة.  
وزعموا أنه قال:

لقد طوّقت في الآفاق حتّى  
وأفئاني وما يفنى نهار  
وشهر مستهل بعد شهر  
ومفقود عزيز الفقد تأتى  
بليت وقد أنى لي لو أبيد  
وليل كلّما يمضي يعود  
وحول بعده حول جديد  
منيّة ومأمول وليد

قالوا: وعاش القدار العزري مائتي سنة فيما ذكر ابن الكلبي عن خراش، قال، حدّثني به قوم من عترة،  
وقال:

رُبَّ حيّ رأيتهم ورأوني  
رَبَّ نهب حويته ملث اللّيل  
وجياد كأنّها قضب الثّوْحَط  
رذاك دهر افنيتة وتعرتني  
ثم قالوا، متى يموت قدار  
ظلاما تزينه الأبيكار  
ترجى أمامهنّ العشار  
ليال ينضينني ونهار

قالوا: وعاش ربيعة بن عبد الله البجلي تسعين ومائة سنة.

قال أبو حاتم، قال ابن الكلبي حدّثني به عُليل بن محمد البجليّ، وقال:

أميم أميم قد أودى شبابي  
وقد ذهب الذّين ولدت فيهم  
وسلهبة وهبت لغير صهر  
وأخلفني البطالة والتّصابي  
وقد رحلت لشقيّتهم ركابي  
فلم أبكر أميم على الثّواب

قالوا: وعاش الحارث بن حبيب الباهلي من بني أود بن معن ستين ومائة سنة فيما ذكر هشام عن طارق  
بن حمزة الغنويّ عن رجل من باهلة، كان عالما.  
وقال الحارث:

كم من أسير تائه فديته  
ومسرّع يسروه جازيته  
ومسرّع يسروه جازيته  
ومعلن بضغنه كويته  
ومن كميّ مُعلم أرديته  
ومبطلّ برفده كفيته  
ومبطلّ برفده كفيته  
لو كان يشري الموت لاشتريته

وقال الحارث:

أهل باب يشترى برغيب يدلُّ عليه الحارث بن حبيب

فمن لا سواد الرأس بعد ابيضاضه ومن لقوام الصلْب بعد ديبب

قالوا: وعاش حامل بن حارثة بن عمرو بن مالك بن عكوة ثلاثين ومائتي سنة، قال، حدثنا شيخ من بني عكوة من طيء، وكان حامل يرحل إلى الملوك في قومه، فقال حين بلغ ثمانين ومائة سنة:

ألا ليتني لم أغن في الناس ساعة ولم ألق أياً تشيب الحزوراً

أبعد الألى من آل عكوة قدّموا كراما وأبحت الغداة مؤخرًا

أرجى خلودا بعد تسعين حجة تسعين أخرى، لا سقيت الكنهورا

الكنهور سحابة.

قالوا، وعاش عمرو بن مسبِّح الطائي، ثم أحد بني معن فيما زعموا حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ابن خمسين ومائة سنة، وله يقول امرؤ القيس:

رُبَّ رام من بني ثعل متلج كفيه "من" قتره

ومات في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو القائل:

لقد عمّرت حتى شقَّ عمري على عمرِ ابن عكوة وابن وهب

وعمرِ الحنظليِّ وعمرِ سيف وعمرِ الرِّدّاة قريع كعب

قالوا: وعاش عبّاد بن سعيد بن أحمر بن ثور بن خدّاش بن السّكسك ابن أشرس بن كندة ثلاثمائة ستة فيما زعم ابن الكلبي عن فروة بن سعيد الكندي.

وقال:

بليتُ وأفنتني السنون وأصبحت لداتي نجوم الليل والقمر والبدر

ثلاث مئين قد مررن كواملا فيا ليتني ثور لما صنع الدهرُ

قالوا: وعاش عوف بن الأردم بن غالب دهرا طويلا، ثم أدرك الفجار وبعد ذلك، فيما زعم معروف بن الخربوذ، وقال:

أودى الشباب، وحبُّ الطلّة الخبله وقد برئت فما في الصدر من قلبه

وقد تفلّل أنيابي وأدركني قرن على شديد فاحش الغلبة

وقد رماني بركن لا كفاء له في المنكبين وفي الرجلين والرّقبة

قال أبو حاتم، هذا الشعر للتمر بن تولى، أنشدنا الأصمعي: أودى الشَّبَابُ وحبُّ الخالة الخبله والخالة قوم ذوو خيلاء، قال الأصمعي:

وقد رمى بسراه اليوم معتمدا

في المنكبين وفي الساقين والرقبة

السرى جمع سرورة، وهو سهم صغير.

قالوا: وعاش الحارث بن التَّوَّامِ اليشكريّ دهرا في الجاهلية، ثم أدرك الإسلام ولا يعقل، فقال فيما زعم الكلبى عن خراش:

زعمت تمامة أنى قد سؤتها

ولقد أنى لي أن أسوء وأكبرا

إنَّ الكبير إذا يشاف رأيتَه

مقرنشعا، وإذا يُهان استزَمَرا

وإذا ترحلَّ في الرَّعيَّةِ خلته

كسلا، وعزَّ عليه أن يتعدَّرا

وإذا تراءى القوم شخصا خاله

شخصين، ثمَّت لم يكن هو أبصرا

ولقد رأيت أباك وهو وليه

وأباه شيخا من بنانه أعسرا

يدعوا ببرد الماء وهو قصاره

فإذا سقوه الماء مجَّ وغرعرا

قال: رأى أباهما وهو صغير، ثم عُمرَّ بعد، وقوله يشاف يُزيِّنُ، مُقرنشع نشيط حسن الهيئة، وإذا يهان استزمر أي قبض، والزمر الشعر القليل.

قالوا: وعاش الجرنفش بن عبدة الطائي ثلاثين ومائة سنة، وقال:

إما تريني لا أعين على الندى

ولا أنصر المولى كما كنت أفعلُ

وأصبحت أعمى قاعدا متوكلا

على الله، إنَّ المؤمن المتوكلُ

فحقُّ امرئٍ قد سار حتى تخرمت

هنيدة حقا أن ينيخ بمنزل

قالوا: وعاش سعنة بن سلامة بن الحارث بن امرئ القيس بن زهير بن جناب حتى كبر واختلط عقله، فترك الغزو بهم، وكان يظعن معه قومه إذا ظعن، ويقىمون إذا أقام.

فقال يذكر ما كان يصنع قومه:

قد عمرت زمانا ما يخالفني

قومي، إذا قلت جدُّوا سيركم ساروا

وإن أردتُ مقاما قال قائلهم

يا سعنة الخير قد قرَّت بنا الدَّار

فإن بليت لقد طالت سلامتنا

والدَّهر قدما له صرف وإصرار

قالوا: وعاش سنان بن وهب بن تيم الأردم بن غالب بن فهر دهرا طويلا فيما ذكروا عن معروف بن الخربوذ، وأنشأ يقول:

لقد عمّرت حتى صرت كلاً  
وكيف بمن أنت مائتان عام  
فإن يكن الشباب مضي حميدا  
عمرت ببلدح عمرا طويلا  
مقيما لا أحل ولا أسيرا  
عليه أن يكون له نكير  
وشيب لمتي الدهر الختور  
وليس ببلدح إلا الصخور  
كأنني فيهم فرخ شجير  
تأذى بي الأقارب بعد أنس

فلم أك نأنا أم عمرو  
إذا نزلت بساحتي الأمور

قالوا: وعاش المجزم بن بكر بن عمرو بن عباد بن الارث بن سامة بن لؤي دهرا طويلا، وكان من دعاميص العرب، أي يهتدي للأمر الخفية الدقيقة ويحتال لها.

وقال باعث بن حويص بن زيد بن عمرو الطائي:

ألا ليتني عمّرت يا أم حشرجك عمر أخى نجران أو عمر مجزملقد عمرا دهريهما في ريلة وفي ظل عيش من لبوس ومطعم

وأفناهما دهر طويل فأصبحنا  
أحاديث طسم أو أحاديث جرهم

حدثنا أبو حاتم قال، وذكر الكلبي عن رجل من قريش قال، كان رجل من بني عذرة قد طال عمره حتى كبر ابن ابن له، وكان عالما بقومه، وكان يُغشى للطعام والعلم؛ فشكا الدهر وتصرفه.

فقال له ابن ابنته: كم أتى لك يا جد؟ قال: لا أحق ذلك يا بني، ولكني عقلت عن أهلك وأنا ابن ثلاث وتسعين، وعاش أبوك خمسا وثمانين، وقد مات منذ ثمانين.

فقال: لقد شكوت الدهر وما كان ينبغي لك أن تشكوه وقد بلغت هذا السن.

وأنشأ ابن ابنته يقول:

إن تك قد بلبت فبعد قوم  
فزادك في حياتك لا تضعه  
طوال العمر قد بادوا يقينا  
كأنك عند موتك قد أتينا  
إلى أجل تجيب إذا دُعينا  
إذا وفيت عدتها فنينا  
مقدرة بعيشتك الليالي  
فإنك إذا خلقت عبدا

كَأَنَّكَ وَالخطوب لها سهام

مقدرة بسهمك قد رميتنا

أخبرنا أبو روق أحمد بن محمد بن بكر الهزلي قال، أخبرنا أبو حاتم قال، قال هشام، حدثنا بكار بن نافع اللؤلؤي قال، قال نصر بن الحجاج بن علاط السلمي لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

إذا مت مات الجود وانقطع الندى

من الناس إلا من قليل مصرد

وجفت أكف السائلين وأمسكوا

من الدن والدنيا بخلف مجدد

فلما سمع معاوية الشعر قال لابنه قرظة، وهي تبكي، اسمعي إلى مرثيتي وأنا حيّ قالوا: وعاش صرم، ويقال صوم، بن مالك الحضرمي قريبا من مائتي سنة فيما ذكروا عن سعيد بن عبد الجبار بن وائل الحضرمي. وقال:

إن أمس كلاً لا أطاع فربما

سقت الكتائب مشرقاً أو مغرباً

ولرب كبش كتيبة لا قيته

فطعنته حتى أوارى الثعلبا

أجرزته رمحي فخر لوجهه

ما إن يجيب إذا دعا المستصحباً

في فتية من حضرموت أعزة

لا ينكلون إذا المنادي ثوباً

قال أبو حاتم، قال خالد بن سعيد عن أبيه قال، دخل أدهم بن محرز الباهلي أبو مالك بن أدهم على عبد الملك ورأسه كالثغام، فقال، لو غيرت هذا الشيب. فذهب فاخضب بسواد، ثم دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، قد قلت بيتاً لم أقل بيتاً قبله، ولا أراي أقول بعده.

قال: هات.

فأنشأ يقول:

ولمّا رأيت الشيب شينا لأهله

تفتيت وابتعت الشباب بدرهم

قال أبو حاتم، وذكروا عن أبي مسكين قال: عمّر رجل من بلي، يقال له النعمان، دهراً، فقال:

تهدلت العينان بعد طلوة

وبعد رضى، فأحسب الشخص راكبا

وأبعد ما أنكرت كي أستبينه

فأعرفه وأنكر المتقاربا

حدثنا أبو حاتم قال، قال هشام وأخبرني غير واحد من تميم قالوا: كانت الإتاوة من مضر في الكبر والقعدد في النسب، فصارت إلى بني عمرو بن تميم، فزليها ربيعة بن عزي بن بزّي الأسدي حتى جبي إتاوة مضر، فطال عمره، وهو أبو الحفاد، وهو القاتل: يا أبا الحفاد أفناك الكبر والإتاوة خراج كان

عليهم.

قال: وقال أبو الحسن المدائني، أنشدني أبو الشَّماخ بن الشُّمراخ الطائي:

ما بال شيخ قد تخدَّد لحمه  
أبلي ثلاث عمائم ألوانا  
سوداء داجية وسحق مفوف  
وأجدُّ لونا بعد هجانا  
ثمَّ الممات بعد ذلك كلُّه  
وكأنَّما يعني بذلك سوانا

قال: وكانت العمامة تلبس أربعين سنة فكأنه عاش عشرين سنة ومائة سنة.

وقال آخرون: إنما عني أنه كان شابا، وذلك قوله سوداء داجية، ثم أحلس وبيض بعض رأسه ولحيته، وذلك قوله، وسحق مفوف، ثم عاد رأسه كأنه ثغامة، فذلك قوله وأجدُّ لونا بعد ذاك هجانا، والهجان البياض.

وزعم العمري عن عطا بن مصعب قال، حدثني عبيد بن أبان التميمي قال، قدم فضالة بن زيد العدواني على معاوية، فقال له معاوية: - كيف أنت والنساء يا فضالة؟ فقال: يا أمير المؤمنين،

لاباه لي إلا المنى وأخو المنى  
جدير بأن يلحي ابن حرب ويشتما  
"الرواية، ولا قمط لي، والقمط الجماع، ومن قال باه فقد أخطأ، لأن الباء ممدودة، وهي تاء في الإدراج".

وفيم تصابي الشيخ والدَّهر دائب  
بمبراته يلحو عروقا وأعظما  
رمتي صروف الدَّهر حتى تركنَّب  
أجبَّ السَّنام بعدما كنت أيهما  
فخلت سهول الأرض وعثا ووعثها  
سهولا، وقد أجزرت أن أتكلَّما  
وكان سليطا مقولي متاذرا  
شذاه، فصرت اليوم ملعي أبكما  
كذلك ريب الدَّهر يترك سهمه  
أخا العزِّ والأدِّ الدليل المذمَّما  
الأد الأيد ذو القوة "وملعي من العي".

وحرب يحيد القوم عن لهباتها  
شهدت، فكنت المستشار المقدَّما  
توسَّطتها بالسيف إذ هاب حميها ال  
كماة، فلم يغشوا من الحرب معظما  
فلما رأيت الموت ألقى بعاعه  
عليَّ تعمَّدت امراءا كان معلما  
فيممت سيفي رأسه وتركته  
يهرُّ عليه الذُّنب أفضح قشعما

أجود إذا سبيل البخيل فهمهما  
وأجبر في اللأواء كلاً ومعدما

نفدت فما لي حيلة غير أنني  
وأبذل عفوا ما ملكت تكرماً

فقال له معاوية: كم أتت لك من سنة يا فضالة؟ قال: عشرون ومائة سنة.  
قال: فأبيّ الأشياء بك منذ كنت بها أسراً، وأي شيء بوقوعه كنت أشدُّ اكتئاباً؟ قال: يا أمير المؤمنين، لم  
يقطع الظَّهر قطع الولد شيء، ولا دفع البلاء والمصائب مثل إفادة المال، والله يا أمير المؤمنين إن المال ليقع  
من القلب موقعا ما يقعه شيء، وإن الولد الصالح ليمثل منزلة المال، ولكن للمال فضيلة عليه، وإن كان  
طلب المال إنما يجمعه لولده، فإنه آثر عنده منه، لأنه قد يمنعه المال إذا طلبه منه، وإن كان يثمره له فهو  
أحلى متاع الدنيا عند أهل الدنيا.  
فقال معاوية: ليس كل أحد على رأيك، للمال حال، والولد حبة القلب ووتد النفس، وقطبة العيش، لا  
خير في المال لمن لا ولد له إلا أن يكون مالا ينفقه في سبيل الله.  
فقال فضالة: يا أمير المؤمنين،

ولا تهلكنه في الضلال فتندم  
عليك ظلال الحرب ترهم بالدم  
توجَّهت من أرضي فصيح وأعجم  
بنفع، ومن يستغن يحمد ويكرم  
بما في يديه من متاع ودرهم  
رأيت فقيرا غير نكس مذمم  
ويحمد آلاء البخيل المدرهم  
بلا كرم منه ولا بتحلم  
يصير أميرا للثيم الملطَّم

وما العيش إلا المال فاحفظ فضوله  
فإنني وجدت المال عزاً إذا التقت  
إذا جلَّ خطب صلت بالمال حيثما  
وهابك أقوام وإن لم تصبهم  
وتعطي الذي يبغي وإن كان باخلا  
وفي الفقر ذلُّ للرقاب وقلَّ ما  
يلام وإن كان الصواب بكفه  
كذلك هذا الدهر يرفع ذا الغنى  
ولكن بما حازت يدها من الغنى

فقال معاوية: قاتل الله أخوا بني أسيد حين يقول:

وإن كان عبدا سيِّد الأمر جحفلا  
وإن كان محضا في العمومة مخولا

بني أمّ المال الكثير يرونه  
وهم لمقلّ المال أولاد علة

حدثنا أبو حاتم قال: وذكر العمريّ قال، حدثني عطاء بن مصعب عن الزبير قال عطاء، سمعته أنا  
وخلف الأحمر منه، قال، دخل خنّابة بن كعب العبشمي على معاوية حين أتسق له الأمر ببيعة يزيد ابنه،

وقد أتت لحنّابة يومئذ أربعون ومائة سنة.  
فقال له معاوية: يا حنّابة، كيف نفسك اليوم؟  
فقال: يا أمير المؤمنين، أمتعني الله بك.

وركني صفيف والفؤاد موفّر  
فلم يبق إلا منطق ليس يهذر  
متى ما يرى اليوم العشنزر يصبر  
مشيّة نفس، إنها ليس تقدر  
أجبّ السّنام حائرا حين أنظر  
بقول أرى والله ما ليس يبصر

عليّ لسان صارم إنّ هزرته  
كبرت وأفني الدّهر حولي وقوّتي  
وبين الحشا قلب كمي مهذب  
أهمُّ بأشياء كثير فتعتقي  
تلعبت الأيام بي فتركنتني  
أرى الشّخص كالشّخصين والشّيخ مولع  
وقال خنابة لابنيه حين كبر، وحالا بينه وبين ماله:

عن العهد بالغرّ الصّغير فأخدع  
وخمسين حتّى قيل أنت المقزّع

ما أنا إنّ أحسنتما بي وحلتما  
جريت من الغايات تسعين حجّة

المقزّع المسوّد.

حدثنا أبو حاتم قال، قال الكلبيّ أخبرنا كعب الأسديّ، وكان معنا بخراسان قال، خبرنا مروان بن الحكم  
قال، أتى كعب بن ربيعة في منامه، فقيل له، كبر سنّك، ورقّ عظمك، وحضر أجلك، فقل لولدك  
فليتّمّنوا، فإنهم سيعطون أمانهم.  
فجمعهم، فقال: فلكل امرئ منكم أمنيته.  
فقال الحريش: أتمنى التّعظ.  
قال: فهم أنكح بني عامر.  
وقال لقشير: تمّنّه.

فقال: اليقاء والجمال، فهم أجمل بني عامر، وأطولهم أعمارا، كان منهم ذو الرّقبية، كان في الجاهلية  
رجلا، ثم أدرك معاوية، ومعه ألف ظعينة، تقول هذه يا أبتاه، وهذه يا جدّاه، وهذه يا عمّاه؛ ومنهم  
حيدة أدرك الجاهلية، ثم أدرك بشر بن مروان، أو زمن أسد بن عبد الله بخراسان وهو عم ألف رجل  
وامرأة.

ثم قال لجمدة: تمّنّه.

فقال: اللبّن والتّمر، فهم أكثر بني عامر لبنا وتمرّا.

ثم قال لعقيل: تمَّنه.

فقال: الإبل، فهم أكثر بني عامر لبنا وإبلا؛ ويقال، بل تمَّنى عقيل العدد والشدة، فليس في بني كعب بطن أشدّ ولا أعدّ من بني عقيل.

ثم قال لحبيب: تمَّنه.

قال: المحبّة من أخوتي، فكب بني كعب يتعطف عليهم.

قالوا: وعاش أبو زيد الطائي، وهو المنذر بن حرملة من بني حيّة خمسين ومائة سنة، وكان نصرانيا بالرقّة فيما حدّث به الكلبيّ عن أبي محمد المرهبيّ، وكان يجعل له في كل أحد طعام كثير، ويهيأ له شراب كثير، ويذهب أصحابه يتفرّقون في البيعة، ويحملنه النساء فيضعنه في ذلك المجلس، فجعل له طعام في أحد من تلك الآحاد، وقدّمت أباريقه وحملته النساء، فجاءه الموت، فقال:

يحلُّ به حلُّ الحوار ويحمل

وتكفينه ميتا أعفُّ وأجمل

لآتيه وسوف والله أفعل

إذا جعل المرءُ الذي كان حازما

فليس له في العيش خيرا يريد

أتاني رسولُ الموت يا مرحبا به

ثم مات، فجاءه أصحابه، فوجده ميّتا.

وعاش الأغلب العجليّ عمرا طويلا، وقال:

أخذن بعضي وتركن بعضي

أفعدنني من بعد طول نهضي

إنَّ اللَّيالي أسرعت في نقضي

حنين طولي وحنين عرضي

قالوا: وقال أبو عامر رجل من أهل المدينة عن رجل من أهل البصرة، قال أبو حاتم، وحدّث به أبو الجنيد الضرير عن أشياخه قال، قال معاوية، إني لأحبّ أن ألقى رجلا قد أتت عليه سنّ وقد رأى الناس يخبرنا عما رأى.

فقال بعض جلسائه: ذاك رجل بحضرموت.

فأرسل إليه، فأتى به، فقال له: ما اسمك؟ قال: أمد.

قال: ابن من؟ قال: ابن أمد.

قال: ما أتى عليك من السنّ؟ قال: ستون وثلاثمائة سنة.

قال: كذبت.

قال: ثم إن معاوية تشاغل عنه، ثم أقبل عليه، فقال: - ما اسمك؟ قال: أمد.

قال: ابن من؟ قال: ابن أمد.

قال: كم أتى عليك من السن؟ قال: ثلاثمائة وستون.  
قال: فأخبرنا عمّا رأيت من الأزمان، أين زماننا هذا من ذلك؟ قال: وكيف تسأل من تكذب؟ قال: إني  
ما كذبتك، ولكني أحببت أن أعلم كيف عقلك.

قال: يوم شبيه بيوم، وليلة شبيهة بليلة، يموت ميّت، ويولد مولود، فلولا من يموت لم تسعهم الأرض،  
ولولا من يولد لم يبق أحد على وجه الأرض.

قال: فأخبرني هل رأيت هاشمًا؟ قال: نعم، رأيتهُ طُوالاً، حسن الوجه، يقال، إن بين عينيه بركة أو غرّة  
بركة.

قال: فهل رأيت أمية؟

قال: نعم، رأيتهُ رجلاً قصيراً أعمى، يقال إن في وجهه لشرّاً أو شؤماً.

قال: أفرأيت محمداً عليه السلام؟ قال: ومن محمد؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: ويحك، أفلا فحمت كما فحّمه الله تعالى؟ فقلت رسول الله.

قال: فأخبرني، ما كانت صناعتك؟ قال: كنت رجلاً تاجراً.

قال: فما بلغت تجارتك؟ قال: كنت لا أشتري عيباً، ولا أردّ رجلاً.

قال معاوية: سلني.

قال: أسالك أن تدخلي الجنة.

قال، ليس ذاك بيدي، ولا أقدر عليه.

قال: لا أرى بيدك شيئاً من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة، فردّني من حيث جئت بي.

قال: أما هذه فنعم.

قال: ثم أقبل معاوية على أصحابه فقال: لقد أصبح هذا زاهداً فيما أنتم فيه راغبون.

قالوا: وعاش القلمس، وهو أمية بن عوف، دهرًا طويلاً، وهو من حكماء العرب، وكان جده الحارث  
بن كندة، وهو الذي يقوم بفناء البيت ويخطب العرب، وكانت العرب لا تصدر حتى يخطبها ويوصيها،  
فقال: "يا معشر العرب، أطيعوني ترشدوا".

قالوا: وما ذاك؟ قال: "إنكم قوم تفرّدتم بألهة شتى، وإني لأعلم ما الله بكل هذا براض، وإن كان ربّ  
هذه الآلهة، إنه ليحبّ أن يعبد وحده".

فنفرت العرب عنه ذلك العام، ولم يسمعوا له موعظة.

فلما حجّ من قابل اجتمعوا إليه، وهم مزورون عنه، فقال: "مالكم أيها الناس كأنكم تخشون مثل مقالتي  
عاماً أول، إني والله لو كان الله تعالى أمرني بما قلت لكم ما أعتبتكم ولا استعبت، ولكنه رأى مني، فإذا

أبيتم فأنتم أبصر، أوصيكم بخصلتين، الدين والحسب، فأما الدين فله، ومن أعطيتموه عهدا ففوا له، ومن أعطاكم عهدا فارعوا عهده حتى تردوه إليه؛ فأما الحسب فبذل التوال".

فلما حضرته الوفاة حضره أشرف قومه من كنانة، ومات بمكة، فقالوا: قل نسمع، ومرنا نطع، وأوصنا نقبل، وزودنا منك زاداً نذكرك.

فقال: "أوصيكم بأحسابكم فإنها مقدم وافدكم، وشرفكم في محافلكم، وكفاف وجوهكم، وعن معدمكم؛ وأوصيكم بالسائل إن كان منكم أن يسأل غيركم؛ وإن كان من سواكم وتيممكم فلا تخطئه ما رجا فيكم، واستوصوا بذوي أسنانكم خيرا، أجملوا مخاطبتهم، وقدموهم أمامكم، وزينوا بهم مجالسكم، وأوصيكم ببيوت الشرف فيكم، أقيموا لهم شرفهم، ولا تترعوا الرئاسة منهم حتى لا تجدوا لها منهم أهلا، وأوصيكم بالحرب، إن ظفرتم يقوم فابقوا فيهم، فإنه حسب لكم، ويد عند عدوكم، فإن من ظفرتم به فهو ظافر بكم لا بد، وهو عامل فيكم بما عملتم به فيه، فلا تقتلن أسيرا فإنه ذحل عندكم ومصيبة فيكم، وإنما هو مال من مالكم، وإن الأسراء تجارة من تجارات العرب فلا تسألن أسيركم فوق ما عنده فيموت في أيديكم، فلا يستأسر بعده أحد بكم، وأكثروا العتاقة في أسراء العرب، ودعوا العرب ترجوكم وتستبقيكم.

وأوصيكم بالضيف، فإن كلاً إذا قال لم يسمع منه حتى يقول الضيف، فلا يخرجن من عندكم وهو يستطيع أن يقول فيكم، وأوصيكم بالجيران فأكرمهم، فلا تغشوا منازلهم، وليصحبهم ذوو أسنانكم، وامنعوا قتيانكم صحابتهم، وأوصيكم بالخبراء خيرا فلا تغرهم في غرمكم، وأغرموا في غرمهم فإنهم عدة لكم، يعينونكم ما داموا فيكم، وينقصونكم إذا فارقوكم ويعينون عليكم إذا خرجوا من عندكم، وأوصيكم بأيامكم خيرا، شدوا حجبهم، وانكحوهن أكفأهن، وأيسروا الصداق فيما بينكم، تنفق أياماكم ويكثر نسلكم، فإن نكحتم في العرب فاختاروا لكم ذوات العفاف والحسان أخلاقا، فإنكم لما يكون منهم أحد من غيركم، وإنهم رءون فيمن بقي من نسائكم مثل ما رأوا فيمن جاءهم منهم، وإذا نكحتم الغريبة "يعني المرأة من غيركم" فأعلوا صداقها، وتزوجوا في أشرف القوام، ثم أكرموا مثوى صاحبتهما ما كانت فيكم، ولا تحرموها إذا انصرفت إلى قومها ما لها، واصرفوها على أحسن حالهما، لا تنقصوها من شيء يكون لها، فإن كريمة القوم إذا رجعت إليهم قليلا متاعها ظاهرة حاجتها غير راجعة فيكم غيرها.

وأوصيكم بالصلة، فإنها تديم الألفة وتسر الأسرة، وأحذركم القطيعة فإنها تورث الضغينة، وتفرق الجماعة، وإياكم والعجلة فإنها رأس السفة".

قالوا: وعاش عمرو بن قمئة بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عكابة تسعين سنة، وقال:

يا لهف نفسي على الشباب ولم

أفقد به إذ فقدته أمما

قد كنت في منعة أسرُّ بها

أمنع ضيمي وأهبط العصما

وأسحب الرَبْط والبرود إلى

أدنى تجاري وأنفض اللِّمما

وقال حين مضت له تسعون حجّة، وهي قصيدة:

كأنّي وقد جاوزت تسعين حجّة

خلعت بها عني عذار لجامي

رمتني بنات الدّهر من حيث لا أرى

فما بال من يرمي وليس برام

فلو أنّها نبل إذن لاتقيّتها

ولكنّما أرمي بغير سهام

إذا ما رأني الناس قالوا ألم تكن

حديثا جديد البرّ غير كهام

فأفنى وما أفنى من الدّهر ليلة

ولم يغن ما أفنيت سلك نظام

على الرّاحتين مرّة وعلى العصا

أنوء ثلاثا بعدهنّ قيامي

وأهلكني تأميل يوم وليلة

وتأميل عام بعد ذاك وعام

قالوا: وعاش ذو الإصبع العدواني، وهو حرثان بن محرّث من عدوان ابن عمرو بن قيس بن عيلان ثلاثمائة سنة، وقال:

أصبحت شيخا أرى الشّخصين أربعة والشّخص شخصين لمّا مسّني الكبير

لا أسمع الصّوت حتّى أستدير له ليلا وإن هو ناغاني به القمر

وإنما قال ليلا لأن الأصوات هادئة، فإذا لم يسمع بالليل والأصوات ساكنة كان من أن يسمع بالنهار مع ضجّة الناس ولغطهم أبعدهم.

كتاب الوصايا عن أبي حاتم "وأولى الوصايا" أخبرنا أبو روق قال، قال أبو حاتم قالوا، وكان ملك من ملوك اليمن يقال له، الحارث بن عمرو الكندي، بلغه عن ابنه لعوف الكندي جمال وكمال، وهو الذي يقال له: لا أحد يشبه عوفا جمالا وكمالا؛ فبعث إلى امرأة من قومها، يقال لها عصام، فقال: إنه بلغني عن بنت عوف جمال وكمال، فاذهي، فاعلمي لي علمها.

فانطلقت حتى دخلت على أمها، وهي أمامة بنت الحارث، فأخبرتها خبر ما جاءت له، وإذا أمها كأنها خاذل من الظباء، وحوّلها بنات لها، كأنهن شوادن الغزلان.

فأرسلت إلى ابنتها، فقالت: يا بنيّة، إن هذه حالتك، أتتك لتنظر إلى بعض شأنك، فاخرجي إليها، ولا

تستتري عنها بسبيء، وناطقها فيما استنطقك فيه.

فدخلت عليها، ثم خرجت من عندها وهي تقول: ترك الخداع من كشف القناع.  
فأرسلها مثلاً.

فلما جاءت إلى الحارث قال: ما وراءك يا عصام؟ قالت: أيها الملك، صرّح "المخض" عن الزبد.  
فأرسلها مثلاً.

ثم قالت: أقول حقاً، وأخبرك صدقاً، لقد رأيت وجهها كالمرآة الصينية، يزيّنه حالك كأذنان الخيل  
المضفورة، إن أرسلته خلته السلاسل، قد تقّوسا على مثل عيني الظبية العبهرة، التي لم تر قانصاً، ولم  
تذعرها قسورة، تبهتان المتوسم إذا فتحهما، بينهما أنف كحدّ السيف المصقول، ولم يخنس به قصر، ولم  
يمعن به طول، حفّت به وجنتان كالأرجوان، في بياض محض كالجمان، شقّق فيه فم لذيذ الملتئم، فيه ثنايا  
غرّ، وأسنان كالدر، ذات أشر، ينطق فيه لسان، ذو فصاحة وبيان، يحركه عقل وافر، وجزاب حاضر،  
تلتقي دون شفتان حمّاوان، كأهما في لين الزبد، تحمى ريقاً كالشّهد، نصب على ذلك عنق أبيض،  
كأنه إبريق فضة.

لها صدر كصدر التمثال، مدت منه عضدان مدججتان، ممتلئتان لحماً، مكترتان شحماً، متصلة بهما  
ذراعان، ما فيهما عظم يمسّ، ولا عرق يجسّ، متصلة بهما كفان، رقيق قصبهما، تعقد إن شئت منهما  
الأنامل، وتركبّ الفصوص في حفر المفاصل، نتأ في ذلك الصدر ثديان، يخرقان عنها أحياناً ثيابها،  
ويمنعانها من أن تقلد سخاباً، أسفل من ذلك بطن طوى كطي القباطي المدججة، كُسي عكناً كالقراطيس  
المدرجة، تحيط تلك العكن بسرة كمدهن العاج، لها ظهر فيه كالجدول، ينتهي إلى خصر، لولا رحمة  
ربك لا نبت، لها كفل يقعدها إذا نهضت، وينهضها إذا قعدت، كأنه دعص من الرمل، لبّده سقوط الطلّ،  
أسفل من ذلك فخذان لفّاوان، كأنما نصبتا على نضد جمان، متصلة بهما ساقان بياضوان خدلّجتان، قد  
وشيتا بشعر أسود، كأنه حلق الزرد، يحمل ذلك كله قدمان، كحذو اللسان "تبارك الله" مع لطافتها،  
كيف يطيقان حمل ما فوقهما؟ وأما ما سوى ذلك فإني تركت نعتي، ووصفه، لدقته، إلا أنه كأكمل  
وأحسن وأجمل ما وصف في شعر أو قول.

قال: فبعثت إلى أبيها فخطبها إليه، فزوّجها إياه، فبعث إليها من الصداق بمثل مهور نساء الملوك، بمائة ألف  
درهم، وألف من الإبل.

فلما حان أن تحمل إليه دخلت إليها أمها لتوصيها.

فقالت: "أي بنية، إن الوصية لو تركت لعقل وأدب، أو مكرمة في حسب لترك ذلك منك، ولزويته

عنك، ولكن الوصية تذكرة للعاقل، ومنبهة للغافل.

أي بنية، إنه لو استغنت المرأة بغنى أبيها وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عن الزوج، ولكن للرجال خلق النساء، كما لهن خلق الرجال.

أي بنية، إنك قد فارقت الحواء الذي منه خرجت، والوكر الذي منه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك ملكا، فكوي له أمة يكن لك عبدا، واحفظي عني خصالا عشرا، تكن لك دركا وذكرًا؛ فأما الأولى والثانية فالمعاشرة له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة، فإن في القناعة راحة القلب، وحسن السمع والطاعة رافة الرب؛ وأما الثالثة والرابعة فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا طيب الريح؛ واعلمي، أي بنية، أن الماء أطيب الطيب المفقود، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود.

وأما الخامسة والسادسة فالتعهد لوقت وطعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النومة مغضبة؛ وأما السابعة والثامنة فللاحتفاظ بماله والرعاية على حشمه وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير؛ وأما التاسعة والعاشرة فلا تفشي له سرا، ولا تعصي له أمرا، فإنك إن أفشيت سرّه لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره. وأتقي الفرح لديه إذا كان ترحا، والاكتئاب عنده إذا كان فرحا، فإن الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، واعلمي أنك لن تصلي إلى ذلك منه حتى تؤثري هواه على هواك، ورضاه على رضاك فيهما أحببت وكرهت.

والله يجير لك، ويصنع لك برحمته.

قال: فلما حملت إليه غلبت على أمره، وولدت منه سبعة أملاك، ملكوا من بعده.

قالوا: وأوصي زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مائة بن تميم، أنه جمع بنيه وبني بنيه فقال: يا بني، إنكم قد أصبحتم بيت تميم، بل بيت مضر، يا بني، ما هجمت على قوم قط من العرب لا يعرفوني إلا أحلوبي، فإذا نسبوني ازددت عندهم شرفا، وفي أعينهم عظما، ولا وفدت إلى ملك إلا آثرني وشفعني، خذوا من أدبي، واثبتوا عند أمري، واحفظوا وصيتي. "ياكم أن تدخلوا عليّ في قبري حوبة أسبّ بها..."

"كذا قال أبو حاتم، حوبة، وليس لها ههنا معنى، وينبغي أن تكون خربة، وهي المنقصة، أو خزّية، والحوبة الخالة، وقال قوم هي الأمّ."

... فوالله ما شايعتني نفسي قط على إتيان ربية، ولا عمل بفاحشة، ولا ضمّني وعاهرة سقف بيت قط، ولا حسنت لي نفسي الغدر منذ شدت يداي مئزري، ولا فارقتني جار على قلبي، ولا حملني هواي على

أمر يعيبيني في مضر.

يا بني، إن القالة إليكم سريعة، فاتقوا الله في الليل إذا أظلم، وفي النهار إذا انتشر يكفكم ما أهمكم، وإياكم وشرب الخمر، فإنها مفسدة للعقول والأجساد، ذهابة بالطريف والتلاد.

يا بني، زوّجوا النساء الأكفاء، وإلا فانتظروا بمنّ القضاء.

يا بني، قد أدركت سفيان بن مجاشع بن دارم شيخا كبيرا محبوبا، فأخبرني أنه قد حان خروج نبي بمكة من مضر، يقال له، أحمد، عليه السلام، يدعو إلى عبادة الله، فإن أدركتموه فاتبعوه، تزدادوا بذلك شرفا إلى شرفكم، وعزّا إلى عزّكم، إنه ليس فيكم سقط رجل واحد، ولا تمثيتكم أنّي بدلتكم بعدتكم من العرب، ولولا عجلة لقيط إلى الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث لشرفته عليكم، وهو بعد فارس مضر، وعليكم بحاجب، فإنه حليم عند الغضب، فرّاج للكرب، يجود إذا طلب إليه، ذو رأي لا ينكش، وزمّاع لا يفحش، فاسمعوا له وأطيعوا أمره، جنبكم الله الردى.

"لا ينكش = لا يستقصي ما فيه، يقال: نكشت البئر أي أخرجت ما فيها، والزّمّاع العزم، لا يفحش أي لا ينتقص".

قالوا: وأوصي سعد العشيرة بنيه لما حضرته الوفاة، فقال:

"يا بني، اتقوا إلهكم بالليل والنهار، وإياكم وما يدعو إلى الاعتذار، ودعوا قفو المحصنات تسلم لكم الأمهات، وإياكم والبغي على قومكم تعمر لكم الساحات، ودعوا المرء والخصام تسلم لكم المروءة والأحلام، تحببوا إلى العشائر قهبيكم العمائر، وجودوا بالنوال تم لكم الأموال، وإياكم ونكاح الورهاء فإنها أدوأ الداء، وأبعدوا من جار السوء داركم، ومن قرين الغي مزاركم، ودعوا الضغائن فإنها تدعو إلى التباين، ولا تكونوا لآبائكم ضرّارا، حيّاكم ربكم، وسدّد أمركم".

قالوا: وجمع الحارث بن كعب بنيه حين حضرته الوفاة، فقال: "يا بني، عليكم بهذا المال فاطلبوه أجمل الطلب، ثم اصرفوه في أجمل مذهب، فصلوا به الأرحام، واصطنعوا منه الأقوام، واجعلوه حنة لأعراضكم تحسن في الناس قالتكم، فإن بذلة تمام الشرف، وثبات المروءة، وإنه ليسود غير اليد، ويؤيد غير الأيد حتى يكون عند الناس نبيلًا نبيها، وفي أعينهم مهيبا؛ ومن اكتسب مالا فلم يصل به رحما، ولم يعط منه سائلا، ولم يصن به عرضا بحث الناس عن أصله، فإن كان مدخولا هرتوه وهتكوه، وإن لم يكن مدخولا ألزموه ودبيّه، واكسبوه عرقا لئما حتى يهجنوه به".

وقال لابنه أشعت، وهو يوصيه:

فاحفظ أباك رياسةً ونقلبا

أبنيّ أباك يوما هالك

وإذا لقيت كتيبة فتقدّمًا

إن المُقدّم لا يكون الأخيبا

تلقي الرياسة أو تموت بطعنة

والموت يأتي من نأى وتجنبًا

قالوا: دعا المنذر ابنه النعمان، وهو غلام شاب، فقال: "يا بني، إن لي فيك رأيا دون غيرك من لدي، فإني أمرك بما أمرني به والدي، وأهاني عما أهاني عنه والدي، أمرك بالذلّ في عرضك، وذلك أن تكون ذلولا بالمعروف، وعليك بالانخداع في مالك، وأحبُّ لك خلوة الليل وطول السّمر، وأكره لك إخلاف الصديق، واطّراف المعرفة، واتّهاك عن ملاحاة الحلماء ومواح السفهاء، إن لك عقلا وجمالا ولسانا، فاكتمس من ثناء الناس ما يؤيد جمالك، ودع الكلام وأنت عليه قادر، وليكن لك من عقلك خبيء تدّخره أبدا ليوم حاجتك.

ثم قال:

إنّ ظنّي بمن أمرتُ بأمرِي

حسن إن أعانت الأذنان

باستماع وما ظفرت بشيء

إن نبا مقولي عن النعمان

قد تفرّست في بنيّ وفيه

فإذا الأمر ليس بالمتداني

فلئن تمّ ما أوّمل فيه

ماله في بني الملوك مدان

وله الظُّ في الجمال وفي العقل

وحظّ من مهلة ولسان

قالوا: وأوصى مالك بن المنذر البجلي بنيه، وكان قد أصاب دما في قومه، فخرج هاربا بأهله حتى أتى بهم بني هلال، فلما احتضر أوصى بنيه، وأمرهم أن يعطوا قومه النّف من حدّته الذي أحدثه فيهم، وقال: "يا بني، قد أتت عليّ ستون ومائة سنة ما صافحت بيمين يمين غادر، ولا قنعت نفسي بخلة فاجر، ولا صبوت بابنه عم لي ولا كنة، ولا طرحت عندي مومسة قناعها، ولا بحثُ لصديق لي بسرّي، وإني لعلي دين شعيب النسبي، صلى الله عليه وسلم، وما عليه أحد من العرب غيري، وغير أسد بن خزيمه، وتميم بن مرّ، فاحفظوا وصيتي، وموتوا على شريعتي، إلهكم فاتقوه يكفكم المهم من أموركم، ويصلح لكم أعمالكم، وإياكم ومعصيته، ولا يجلب بكم الدمار، وتوحش منكم الديار.

يا بني، كونوا جميعا، ولا تفرقوا، فتكونوا شيعا، فإنّ موتا في عزّ خير من حياة في ذلّ وعجز، وكلّ ما هو كائن كائن، وكل جمع إلى تباين، الدهر صرفان، فصرف رخاء، وصرف بلاء، واليوم يومان، فيوم حبره، ويوم عبره، والناس رجلان، فرجل معك، ورجل عليك، وزوجوا الأكفاء، وليستعملن في طيبهنّ الماء، وتجنّبوا الحمقاء، فإن ولدها إلى أفن ما يكون، إنه لا راحة لقاطع "يعني القرابة".

وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم، وآفة العدد اختلاف الكلمة، التفضل بالحسنة يقي السيئة، والمكافأة

بالسيئة الدخول فيها، العمل بالسوء يزيل النعماء، وقطيعة الرحم تورث إمام المهّم، وانتهاك الحرمة تزيل النعمة، عقوق الوالدين يعقب النكد، ويمحق العدد، ويخرب البلد، النصيحة لا تهجم على الفضيحة، احتمال الحقد يمنع الرّفد، لزوم الخطية يعقب البلية، سوء الرّعة يقطع أسباب المنفعة، الضغائن تدعو إلى التبايم.

ثم قال:

أكلت شبابي فأفنيته  
وأمضيت بعد دهور دهورا  
ثلاثة أهلين صاحبته  
فبادوا وأصبحت شيخا كبيرا  
قليل الطّعام، عسير القيا  
م، قد ترك الدّهر قيدي قصيرا  
أبيت أراعي نجوم السّما  
ء، أقلبّ أمري، بطونا ظهورا

قالوا: وأوصي عمرو بن الغوث بن طيء ولده، وهم: ثعل، ونبهان، وبنوهم؛ وكان عمرو قد عاش حتى كبر ولده، فقال: "يا بني، إنكم قد حللتم محلاً تخرجون منه ولا يدخل عليكم فيه، فارعوا مرعى الضّبّ الأعور، يرى حجره، ويعرف قدره، ولا تكونوا كالجراد، يأكل ما وجد ويأكله ما وجدته؛ وإياكم والبغي، فإن الله إذا أراد هلاك النملة جعل لها جناحين؛ يا بني، لا تستحيوا من منع من لا يستحي من المسألة، وكلوا من الكعام وأطعموه، ولا يستحي أحدكم أن يفعل شيئا ينتفع به إذا لم يعرف، فإنه إنما يستحي حينئذ لغيره، وابدءوا الناس بالشر فإنه أشكر لخيركم وإن كان قليلا، ولا تمنعكم الكثرة أن تربعوا على أقداركم، والله يحوطكم".

قالوا: وأوصي قيس بن معد يكرب ولده، فقال: "باسمك اللهم، احفظوا أدبي يكفكم، وأتبعوا وصاتي تلحقوا بصالح قومكم ويستعل أمركم، إني أكلكم إلى أدبي، وإن المعنيّ بكم لغائب "يعني نفسه"، الزموا ما يجمل، واقنوا حياءكم، وأطيعوا ذوي رأيكم، وأجلّوا ذوي أسنانكم، ولا تعطوا الدّنية، وإن كان الصبر على خطّة الضّيم أبقى لكم، وتناصروا تكونوا حمى، وإذا نزلتم على قومكم فلتكن محلّتكم واحدة، واهدروا الحسد يقطع عنكم النائرة، ودعوا المكافأة بالشر يجيبكم الناس، وعفّوا عن الدناءة وأكرموا أهل الكفاءة، ولا تواكلوا التراقد والرياسة فيحلّ عطبيكم، واتخذوا لأسراركم من علانيتكم حجابا، ولا تدبروا أعجاز ما قد أدبرت صدوره، ولا تقيّلوا الرأي بالظن فيبدع بكم، والزموا الأناة يفز قدحكم، وأطيلوا الصمت إلا فيما يعنيكم، ولا تأخذوا ختلا، وخذوا صراحا، فهناك عزّ القرار، ومنعة الجار، واضعنوا في الأرض تبلغوا مأمّنكم، ولا تعرضوا لنمائم النساء، وإياكم والغدر فإنه أحلّني دار الغربية، واعتبروا".

قالوا: وجمع أود بن صععب بن سعد بنه، فقال: "يا بني، أخيفوا الناس ولا تخافوهم، واستخبروهم، ولا

تخبروهم، وبئس موضع السر المرأة، وكونوا من الموتورين على حذر، وإذا دفعتم عن حنككم فاطلبوا أكثر منه، وإذا بنج لكم فاقصروا عليه".

قالوا: وأوصى عبقر بن أنمار البجليّ فقال: "يا بني، إذا غدوتم فبكرّوا، وإذا رحتم فهجرّوا، وإذا أكلتم فأوتروا، وإذا شربتم فأنبروا، وأبيحوا ما يؤكل فإن منعه ألام اللؤم".

"قال أبو حاتم: النبيز الهمز، وإنما شَبَّهه بالصوت الذي تسمعه من الحلق إذا جرى الماء فيه".

قالوا: وجمع صعب بن سعد بنيه عند موته، فقال: "يا بني، أوسعوا الحبا، وحلّوا الربا، وكونوا أسي تكونوا حمى".

"قال أبو حاتم، يقول، إذا احتى أحدكم فليوسع الحبوّة ولا ينقبض، أراد لتعظم همّة أحدكم ولا تصغر؛ وقوله، وحلوا الربا، يعني، انزلوا المرتفعات من الأرض لترى نيرانكم فتقصدكم الأضياف، وقوله، وكونوا أسي، أي لتكن كلمتكم واحدة، وهو من الأسوة، أي لا تختلفوا، فيطمع فيكم أعداؤكم، ولكن، كونوا أسوة، بعضكم بعضا، تكونوا حمى، أي حرزا، لا يطمع فيكم".

قالوا: وأوصى مالك بن عمرو الكلبيّ فقال: "يا بني، عليكم بتقوى الله، وصلة الرّحم، وأداء الأمانة، ورعاية الحق، والوفاء بالعهد، وإياكم ومعصية الله وقطيعة الرّحم، فإنه لا يسلم على الضغائن الكبير، ولا يصلح عليها الصغير، وصونوا أنفسكم بالدّعة وبذل المعروف، وكفّوها عن سوء الرّعة في الأمور، وإن أقبح ذلك ما كان في المطمع؛ واهجروا البغي فإنه مثير، وتجنّبوا العجب فإنه ممقته، ولا تقصروا عن طاعة أمرائكم، ولا توجهوا الأمور دونهم، فإنهم إن يشاركوكم فيها يكمل رأيكم، والتمسوا المحامد في مظانّها، ولا يمنعكم من طلب المعاش اليأس، فإن أبوابه أكثر من أن يبلغها الظان، استكثروا من الإبل يكثر تبعكم، ولا تضيعوا رباطكم فيهدم حصنكم، وإذا لقيتم العدو فاصبروا، فإن في الصبر النجاة والدّرّك للتراث، وألزموا النساء البيوت، وخافوهنّ على أسراركم، واجتمعوا ولا تفرقوا، واحذروا الغدر فإنه نقمة، وليحيكم ربكم".

قالوا: وأوصى جابر بن مالك الكلبي بنيه وقومه، فقال: "يا معشر العمائر المنتظرة للفناء والمنقطعة من الأصل، أوصيكم برهبة الله، وصلة الرّحم، والفظ للعهد، والمباعدة لأهل الغدر وأهل الذكر للمعايير، وعليكم باحياء المناقب، وقد ترون المنايا تتبعها الرزايا، ولا تواكلوا النصر فتنكبوا، ولا تتخاذلوا فتذلّوا، واجهدوا أبدانكم اليوم لراحتّها غدا، ولا تكنوها بالدّعة فتحسر عند الاجتهاد، ولا تختلفوا فبخسر كيدكم، واحجبوا الكرائم، وتجنّبوا الملاوم، وكلّ ما يعتذر منه خطيئته، ولتطب أنفسكم عن الدنيا، وبالصبر تدفع العظائم، ليحيكم المديل للأمام".

قالوا: وأوصى هبيرة بن صخر الكلبيّ، ثم الغامديّ، فقال: "يا بنيّ ويا عشيرتاه، أوصيكم بتقوى الله والصبر على المضض، ففيه الفوز، لا فوز القسيّ، حافظوا على الحرم، فإن الهلاك في الغفلة عنها، والفشل في التخاذل، غيظوا العدو بإظهار السرور وإبداع الأمور، واذكروا الجامع والمواسم يأمن سربكم، فإن المحافظة أمن، وإنما المعسكر لمن صبر، وليحييكم ربكم".

قالوا: وأوصى الأحوص الكلبيّ ثم من بني عبدودّ، فقال: "يا عشيرتاه، إن الرأي الرأي اليوم، أوصيكم بشكر ذي النعمة، والغيرة على الحرم، والتمسك بالحسب، ولا ترضوا بالدنيّة، ففيها البليّة وضياح العلم، وذهاب المهج، الموت في الغدر خير من الحياة في القسر، والفرج مع الصبر، وليحييكم ربكم.

قالوا: وأوصى عمرو بن يزيد الكلبيّ بنيه، فقال: "أوصيكم بتقوى الله، وبرّ الرحم، والحفظ للعيال، والإحراز للحرم، ولا تحاسدوا فتدلّوا، ولا تواكلوا فتفشلوا، تعاطفوا يصلب عودكم، وتقاربوا، وتحابّوا يظهر حزمكم، وأقلّوا المنطق ترهبوا، وتساخوا الفعال، وأميتوا الضغائن تحمدوا العواقب، واستعينوا على محاربة عدوكم بذكر المعايير، والهرب منها كرم، والتخوف لها جهاد، أزيلوا عنكم نيّة البغي، وأزروما قلوبكم الإنصاف وعزيمة العفو تنصروا، ولتكن أعلامكم ذوي الرأس منكم، وأنزلوهم منزلة الآباء في التقليد والإنفاذ لأمرهم، فإن أعظم مصائب القوم خلاف الشّقيق المصيب، وطاعة المصيب ظفر، واتباعه يمن، وإذا حاربتهم قوما فأطيلوا موافقتهم، وتأمّلوا فيهم الفرصة، وإن أمكنكم البيات ففيه الظفر بعدوكم، وإن منحوكم أكتافهم فوسّعوا عليهم المسرب، وهنّوها عن لحم المذاكي، وعند تلك فأحبوا فراقهم، فإن العافية لمن اعتصم بها، ليرعكم ربكم".

قالوا: وأوصى زهير بن جناب فقال: "يا بنيّ، قد كبرت سنّي، وبلغت حرسا "يعني دهرا من عمري" وأحكمتني التجارب، والأمور تجربة واختبار، فاحفظوا عني ما أقول، وعوه، إياكم والخور عند المصائب، والتواكل عند النوائب، فإن ذلك داعية للغمّ، وشماتة لعدو، وسوء الظنّ بالرّب، وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترّين، ولها آمين، ومنها ساخرين، فإنه والله ما سخر امرؤ قط إلا ابتلى، ولكن استعفوا منها، وتوقّعوها؛ فإنما الإنسان في الدنيا غرض، تعاوره الرماة، فمقصرّ دونه، ومجاوز لموضعه، وواقع عن يمينه وشماله، ثم لا بدّ أنه مصيبه".

قالوا: وأوصى رياح بن ربيعة بنيه عند موته فقال: "يا بنيّ، سوّدوا أعقلكم، فإن أمير القوم إذا لم يكن عاقلا كان آفة لمن دونه، وجودوا على قومكم، وإياكم والبخل، فإنه داء، ونعم الدواء السخاء، والتغافل فعل الكرام، والصمت جماع الحلم، والصدق في بعض المواطن عجز، واستعينوا على من لا تقوون عليه بالجموع، واعلموا أن سيّد القوم أشقاهم، وإياكم والمنّ، فإنه مهدمة للصنيعة".

قالوا: وأوصى الأفوه الأوديّ فقال:

"عليكم بتقوى الله وصلة الرحم، وحسن التعزّي عن الدنيا بالصبر، والنظر فيما حزبكم لما بعده تفلحوا، وتفقدوا حالاتكم بالمعرفة لحقوق أعلامكم فإنهم بكم عزّوا، وأنتم بهم أعزّ منكم بغيرهم، كونوا من الفتن على حذر، ولا تأمنوا على أحسابكم السفهاء، ولا تشركوهم في سرّكم، فإنهم كالضأن في رعيتها، كلامهم زعر، وفعلهم عسر، لا يستحيون من دناءة، ولا يراقبون محرما، ولا يغضبنّ منكم امرؤ لسفيه على ابن عمه وإن وزعه، ولا تطمئنوا إلى أجسامهم، واستوحشوا من عقولهم، ولا تثقوا بناحيثهم، وإن حاربتهم فاتخذوهم حشوا فيما بينكم، فإن النظر قبل اللقاء حزم، ولا حزم بعد الندامة، فإذا اقتادكم امرؤ فوقروه بالإجلال والمناصحة تبلغوا بذلك من العدو، وتناولوا به المحامد، فإن لغد أمرا، والأيام دُول، فتأهبوا، وتصنّعوا لخلوها.

ثم قال: أما بعد، فإن التجربة علم، والأدب عون، والكفّ عن ذلك مضرّة، وليكن جلساؤكم أهل المروءة والطلب لها، وإياكم ومجالسة الأشرار، فإنها تعقب الضغائن، والرفض لهم من أسباب الخير، والحلم محجزة عن الغيظ، والفحش من العي، والغيّ مهدمة للبناء "يعني المعالي"، ومن خير ما ظفرت به الرجال اللسان الحسن "اللسان ههنا الثناء" - قال الله عز وجل "لسان صدق في الآخرين".  
وفي ترك المراءِ راحة للبدن، فلينظر كل رجل منكم إلى جهته، فإن العجب كبير، والكبر قائد إلى البغض، واشتأوا البغي، فإنه المرعى الوخيم، واستصلحوا الخلل، وتحموا الذلّ، اللهم عليك بأهل الحسد للنعم".  
وقال الأقفوه:

لنا معاشر لن يبينوا لقومهم	وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا
لا يرعون ولن يرعوا لمرشدهم	والغّي منهم معا والجهل ميعاد
كانوا كمثل لقيم في عشيرتهم	إذ أهلكت بالذي قدّموا عاد
أو بعده كقذار حين طاوعه	على الغواية أقوام فقد بادوا
والبيت لا يبتني إلا له عمد	ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
فإن تجمّع أقوام ذوو حسب	تصطاد أمرهم، فارشّد مصطاد
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم	ولا سراة إذا جهّالهم سادوا
إذا تولّى سراة القوم أمرهم	نما على ذاك أمر القوم وازدادوا
تهدي الأمور بأهل الرأى ما صلحت	فإن تولّت فبالأشرار تنقاد
أمارة الغي أن تلقي الجميع لدى ال	إبرام للأمر للأذنب ينقاد
كيف الرّشاد إذا ما كنت في نفر	لهم عن الرّشّد أغلال وأقياد

أعطوا غوانتهم جهلاً مفاعلتهم  
أخف الرّحيل إلى قوم وإن بعدوا  
فسوف أجعل بعد الأرض دونكم  
إنّ النّجاة إذا ما كنت ذا بصر  
والخير تزداد منه ما بقيت به  
فكلهم في حبال الغيّ منقاد  
فيهم صلاح لمرتاد وإرشاد  
وإن دنت رحم منكم وميلاد  
مراجع الغيّ أبعاد فأبعاد  
والشرُّ يكفيك منه قلّ ما زاد

قالوا: وأوصى حصن بن حذيفة بن بدر الفزاريّ بنيه، وكان سبب موته أن كرز بن عامر العقيليّ طعنه، وكان له بنون عشرة، فأوصاهم عند موته، واشتد به مرضه، فقال: - الموت أروح مما أنا فيه، فإياكم يطيعني؟ قالوا: كلنا لك مطيع.

فبدأ بأكبرهم، فقال: خذ سيفي هذا، فضعه على صدري، ثم اّتكئ عليه حتى يخرج من ظهري.  
فقال: يا أبتاه، وهل يقتل الرجل أباه؟ فعدل عنه إلى ولده، كلّمهم يقول مقالة الأول، حتى انتهى إلى عُيينة، فقال: - يا أبتاه، أليس لك فيما تأمرني به سلوى وراحة، ولك مني فيه طاعة؟ قال: بلى.  
قال: فمرني كيف أصنع.

قال حصن: ألق السيف يا بنيّ، فإني أردت أن أبلوكم فأعرف أطوعكم لي في حياتي، فهو أطوعكم لي بعد وفاتي، فاذهب فأنت سيّد ولدي من بعدي، ولك رياستي.  
فجمع بني بدر، فأعلمهم بذلك، ثم قال:

"اسمعوا ما أوصيكم به، لا يتكلنّ آخركم على فعال أولكم، فإن الذي يدرك به الأول حجة على الآخر، وانكحوا الكفيء من العرب فإنه عزّ حادث، وإذا حاربتهم فأوقعوا، وقولوا واصدقوا، فإنه لا خير في الكذب، وصونوا الخيل فإنها حصون الرجال، وأطيلوا الرماح فإنها قرون الخيل، واغزوا الكثير بالكثير، وبذلك كنت أغلب، ولا تغزوا إلا بالعيون "يعني بالأشراف"، ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح، وعجّلوا القرى فإن خيره أعجله، وأعظوا على حسب المال، فإنه أبقى لكم، ولا تحسدوا من ليس مثلكم، فإنما يحسد القوم أمثالهم، ولا تحكروا على الملوك فإن أيديهم أطول من أيديكم، ولا تأمنوا صرعات البغي، ونضحات الغدر، وفتلات المزاح، واقتلوا "كرز بن عامر" فإنه قتلي".  
فمات.

فقام عُيينة بالرياسة، وقتل كرزاً، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من المؤلّفة قلوبهم.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون: هذا الأحق في دينه، المطاع في قومه.

قالوا: وأوصى مضرّس بن ربعيّ ابنه فقال: "يا بنيّ، إن الأسف مرض، والطمع لؤم، واليأس عجز، فاسل

عما فات، واحرص فيما تستقبل، وفكر ثم قدر، ثم احضر".  
وقال:

لا تهلكنَّ النفس لوما وحسرة  
على الشّيء سداه لغيرك قادره  
فلا تياسا من صالح أن تناله  
وإن كان شيئا بين أيد تبادره  
وما فات فاتركه إذا عزّ واصطبر  
على الدهر إن دارت عليك دوائره  
ولا تظلم المولى ولا تضع العصا  
على الجهل إن طارت عليك دوائره

قالوا: وأوصى أبو قيس بن صرمة فقال: "لا تنكلوا عن العدو، ولا تبخلوا عن الصديق، وجازوا ذا  
النعمة، وتمسكوا بحرمة الجار، وتبادلوا، وقدموا أهل العي، وأوفوا بالعهد، وإياكم والبغي، فإنه أقوى  
سلاح عدوكم".  
وأنشد:

يقول أبو قيس وأصبح غادبا  
ألا ما استطعتم من وصاني فافعلوا  
أوصيكم بالله والبرِّ والتقى  
وأعرضكم، والبرُّ بالله أول  
وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم  
وإن كنتم أهل السيادة فاعدلوا  
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم  
فأنفسكم دون العشيرة فابدلوا  
وإن طلبوا عرفا فلا تحرموهم  
وإن كان فضل العرف فيهم فافضلوا  
وإن أنتم أعوزتم فتعففوا  
وما حملوكم في النوائب فاحملوا

قالوا: وأوصى الحارث بن الحكم أكل الذراع بنيه، فقال: "يا بني، لا تبكوا على الزمان فإنه لا يزداد على  
رجل على السن من أهله قريبا إلا ازدادوا منه بعدا، استأنوا العشيرة، ولا تمشوا بينها بالنميمة، وكونوا  
لقومكم أتباعا، وإياكم والبغي، فإنه آخر مدة القوم، وجازوا بالحسنة، ولا تكافئوا بالسيئة ولا تردوا  
الكرامة، ولا تبغوا، غنيتم وبقيتم" قوله هذا دعاء لهم".

قالوا: لما حضر الحطيئة الوفاة قيل له، أوصه.

قال: ويل للشعر من راوية السوء.

قيل: أوصه.

قال: أخبروا آل شَمَّاح بن ضرار أنه أشعر العرب.

قالوا: أوصه.

قال: بماذا؟ قالوا: في مالك، فإنه كثير.

قال: هو لذكور ولدي دون النساء.

قالوا: ليس كذلك قال الله عز وجل.

قال: لكن أنا أقوله.

قالوا: أوصه.

قال: بماذا؟ قالوا: عبدك هذا قد طالت صحبته.

قال: اشهدوا أنه عبد ما بقى على الأرض عبيتي.

ثم قال: احمّلوني على حمار، فإنه بلغني أن الكريم لا يموت على حمار.

فحمل عليه، فمات.

وصية قيس بن عاصم المنقريّ بنيه، قال: "أوصيكم بتقوى الله عز وجل، وسوّدوا أكبركم، فإن القوم إذا سوّدوا أكبرهم لم يفقدوا أباهم، وضعوا كرائمكم في أعقابكم، وتزوّجوا في مثل ذلك، فإنكم إذا فعلتم مثل ذلك خلفتم أباكم، وعليكم بطلب المال واصطناعه، فإن المال منبهة للكريم، ويستغنى به عن اللثيم، وإياكم ومسألة الرجال، فإنها آخر كسب المرء، ولا يعلمنّ بمدفني بكر بن وائل، فإني كنت أغاورهم في الجاهلية، وكانت بيني وبينهم خماشات، فأخاف أن يفتنوكم في دينكم، أو يدخلوا عليكم غضاضة، ولا تنوحوا عليّ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم سنع عليه".

قالوا: وأوصى عوف بن كنانة الكلبيّ بنيه، فقال:

"يا بنيّ، احفظوا وصيتي، فإنها أنصح الجبلّة لكم، وإن أنتم حفظتموها سدتم قومكم بعدي، إلهكم فاتقوه، ولا تحونوا، ولا تستثيروا السباع في مراتبها فتندموا، وجازوا الناس بالكف عن مساوئهم تسلموا، ونصحوّوا وخفّوا عند نائبتهم، ولا تستبطئوا في حق، والزموا الصمت إلا من حق تحمدوا، وابدلوا التحية تسلم لكم الصدور، ولا تظانّوا بالمنافع فتباغضوا، واستتروا من العامّة تجلّوا، ولا تكثروا مجالس الناس فيستخف بكم، ولا تزايلوهم فتعادوا، وإن نزلت معضلة فاصبروا، وألبسوا الهر أثوابه، فإن لسان الصدق مع المسكنة خير من لسان السوء مع الميسرة، ودلّو لمن ذلّ لكم فإن أقرب الوسائل المؤدّة، ولا تعلموا الناس أفتاركم فتهونوا عليهم، ويجمّلوا تنجبوا، وإياكم والعزبة فإنها ذلّة، ولا تضعوا الكرائم إلا عند الأكفاء، وابتغوا لأنفسكم المعالي، ولا يخلجنكم جمال النساء عن صراحة النسب، فإن مناكحة الكرام مدارج الشرف، واحضعوا لقومكم، ولا تبغوا عليهم، ولا تخالفوهم فيما اجتمعوا عليه، فإن الخلاف يزري بالرئيس المطاع، وليكن معروفكم بعدهم في غيرهم، ولا توحشوا أفنييتكم من أهلها، فإن إيجاشها إخماد الناس ودفع الحقوق، وأذكوا النار، وأحيوا الحقوق، ولا تبدلوا الوجوه إلى غير مكرميها فتكلحوها، وتحشوها الدناءة، وتقصروا بها، ولا تحاسدوا فتبوروا.

والتمسوا بالتودد المنازل عند الولاية، فإنهم من وضعوا أفرد، ومن رفعوا أنجد، وابتنوا المباني بالأدب ومصافاة أهل الحبا، وابتاعوا المحبة بالجود، واجتنبوا البخل، ووقروا ذوي الفضيلة، وخذوا عن أهل التجارب، ولا تحتقروا الرجال من غير خيرة؛ وإنما المرء بذكاء قلبه وتعبير لسانه، وإذا خوِّقتم داهية فثبثوا قبل العجلة، ولا يمنعنكم من المعروف صغر قدره، فإن له ثوابا، ولا تعفروا الأقدام إلا لأخطارها، وتنبَّأوا تسمُّ اليكم الأبصار، وارفضوا النمائم بينكم تسلموا، وكونوا أنجاد عند الملمات تعوا، واحذروا النجعة التي في المنعة.

وأكرموا الجار، وآثروا حق الضيف، وألزموا السفهاء الحلم تقلُّ همومكم، وإياكم والحرص فإنه من أسباب المتالف، واتخذوا الزهد جنة تسترح أبدانكم، وإياكم والفرقة فإنها ذلٌّ، ولا تكلفوا أنفسكم فوق طاقتها فتعجزوا، فلأن تلاموا وبكم قوة خير من أن تعانوا بالعجز، وعليك بالجد فإن به يمنع الضيم، وإياكم والتفريط فيه يكون الخلل، ولا أجذبتم أبدا، ولا غلبتم -أو- قال - ولا خذلتكم. حدثنا أبو حاتم قال: وذكر بعض أهل العلم أن هشام بن عبد الملك أرسل إلى سليمان الكلبي، وكان رجلا جامعا للأدب فاضلا، ذا رأى.

قال سليمان: فدخلت عليه، وهو في غرفة له، قد علا نفسي. وانتفخ سحري، فسلمت عليه، فردّ عليّ، وأضرب عني حتى سكن جأشي، ثم قال لي: -يا سليمان، قد بلغني عنك ما أحب، وإذا بلغني عن أحد من رعيّتي مثل الذي بلغني عنك أسرع إليه بما يجب، واستعنت به على مهم أمري، وإن محمد ابن أمير المؤمنين بالمكان الذي بلغك، وهو جلدة ما بين عيني، وإني أرجو أن يبلغ الله به أفضل ما بلغ بأحد من أهل بيته، وقد ولاك أمير المؤمنين تأديبه وتعليمه، وماله، والنظر فيما يصلح الله به أمره، فعليك بتقوى الله، وأداء الأمانة فيه، فإنك تقصد فيه بخصال، لو لم تكن إلا واحدة كنت قمنا ألاّ تضيّعها، فكيف إذا اجتمعت؟ أما أولها فإنك مؤتمن عليه، وحقّ لك أداء الأمانة فيه؛ وأما الثانية فأنا إمام ترجوني، وتخافني؛ وأما الثالثة فكلما ارتقى الغلام في الأمور درجة ارتفعت معه، ففي هذا ما يرغبك فيما أوصيك به، فادخل عليه في خاصّة أهل القرآن، وذوي الأسنان، فإنك منهم بين خصلتين، إما أن يسمع منهم كلاما فيعيه ويحفظه فيكون لك صونه وذكره، وإما أن يراهم الناس يخرجون من عنده فيرون أنكم على مثل ما هم عليه.

ولا تدخل عليه الفسّاق ولا شربة الخمر، فإنك منهم بين خصلتين، إما أن يسمع منهم كلاما قبيحا فيعيه ويحفظه ويأخذ به فتريد تحويله عن ذلك فلا تقدر عليه، وإما أن يراهم الناس يخرجون من عندكم فيرون أنكم على مثل ما هم عليه.

وانظر إذا سمعت منه الكلمة العوراء فلا تؤنبه بما فتمحّكه، ولكن احفظها عليه، فإذا قام من مجلسه فانقله إلى ما هو أحسن منه؛ وإذا سمعت منه الكلمة المعجبة ففطنّ القوم لها، فإنهم عسى ألا يكونوا فهموها وفهمتها باهتمامك بها، حتى يقوموا وقد سمعوا منه كلاما حسنا، ويروونه عنه، ويرفعونه به.

وإذا حضر الناس أبوابكم فعجلوا إذهم، ثم ليحسن بشركم بهم، وأطيبوا للناس طعامهم، فإذا فرغوا من الغذاء والعشاء فمن أحب أقام للحديث من قبل نفسه، ومن أحب انصرف إلى أهله، فإن للناس حوائج عند زيارتكم، وإذا أعطيتهم أهل القرآن وحملة العلم وأهل الفضل فإنكم تؤجرون على إعطائهم إلا أن يكون في سبب النجدة أو وسيلة، فإنكم ملوك، والناس سوق، وإنما تسودون الناس ويطأون أعقابكم ببارع الفضل ولين الجناح.

قال الشاعر:

**فإنك لن ترى طردا لحرّ**  
**كإلصاق به بعض الهوان**  
**ولم تجلب مودّة ذي وفاء**  
**بمثل البذل أو لطف اللسان**

وخذه بعلم نسبه في العرب حتى لا يخفى عليه منه قليل ولا كثير، وعلمه منازل القمر، وأنواع الخطب، ومواضع الكلام، ومعرفة الجواب.

وإن هو احتبس عن تأديبه ومروّاته فادخل عليه، وإن كان من أهله في لحافه حتى تجرّ برجله إلى ما ينفعه الله به، وإياك أن تكتم عليه، فيؤدي ذلك إليّ غيرك، فأنزل لك عما يسرّك إلى ما يضرك، ولا يخرجنّ إلا معتمّاً، ولا يركبنّ محذوفاً، ولا مهلوباً، ولا يعقدن له ذنب دابة إلا من لثق، ولا يركبنّ سرجاً صغيراً فتبدو منه أليته كفعل الفسّاق، ولا يسيرنّ متلفّتا ولا طامحا.

فخذه بهذه الخصال، وزده من عندك ما استطعت، فإني سأقيس عقله اليوم وبعد اليوم، فإن رأيتَه قد ازداد خيراً إلى ما كان عليه رؤي فضل أمير المؤمنين عليك، وإن كانت الأخرى فلا تلم إلا نفسك.

وقد أجريت عليك ألف درهم في كل شهر، سوى كسوتك وجتنتك.

قالوا: وأوصى أبحر بن جابر العجليّ فقال: "يا بني، إن سرّكم طول البقاء وحسن الثناء والتكايه في الأعداء، فإذا استقبلتم الخميس فاستقبلوهم بوجوهكم، وإياكم أن تمنحوهم أكتافكم فتطعنوا بالرماح في أديباركم، فإن أمثل القوم بقيّة الصابر عند نزول الحقائق.

وحدثنا الرياشي عن الأصمعيّ قال: قال أبحر العجليّ لابنه حجّار لما أراد الإسلام: إذا قدمت المصر فاستكثر من الصديق، فإنك على العدو قادر، وإياك والخطب فإنها نشوار كثير العثار.

قال أبو حاتم، وكان البدّال أبو العلاء، وهو من بني مازن بن عمرو بن تميم مرض، فقالوا: كيف تجدك؟

فقال: أجدني مغفورا.  
قالوا: يا أبا العلاء، أوص.  
قال: بما أوصي؟ ثم قال:

### واستوصيا بالجلّة التّلاذ

### يا ابني حريث ارفعا وسادي

فإنّما حولكم الأعداء ثم قال: ما لكم عندي وصية غير هذا.  
"وابنا حريث ابنا أخيه".

وصية شبت بن ربعي وأوصى شبت بن ربعي فقال: هذا ما أوصى به شبت بن ربعي، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الجواد في الجنة، وأن البخيل في النار. انظروا ابنتي فلا تزوّجوها إلا كريما، ولا تدفنوني عند مقابر بني طهيّة.

وصية وكيع بن أبي سود قال: وأوصى وكيع بن أبي سود، وكان أحق الناس، وأظهرهم "هم" موقا، فقال: "يا بني، إني لو قد هلكت أتاكم قوم قد شتموا ثيابهم، وحلقوا شواربهم، وعفّروا جباههم، فقالوا، إن لنا على أبيكم ديننا فاقضوا دين أبيكم، إلا وإنّ قبل أبيكم تبعات إن يغفرها الله له فالدين أهون مما هنالك، وإن تكن الأخرى فلا يهلكنّ أبوكم وتذهب أموالكم".

وصية ابن الأهم قال لما ثقل ابن الأهم أظهر ماله ودعا بنيه، فقال: "يا بني، دُونكم، فقد كفيتم كدّه، وصفا لكم ما اشتهيتم منه، وإنما جمعته لنبوة الزمان، وجفوة السلطان، ومباهاة العشيرة، وأيم الله لوددت أنه كان بين صلعي حمار بالفلاة، أو بقراء مقحل".

وصية المهلب قال: ولما حضرت المهلب الوفاة جمع بنيه فقال:

"أوصيكم بتقوى الله وصلّة الرحم، فإن تقوى الله تعقب الجنة، وإن صلة الرحم تنسى في الأجل، وتثري المال وتجمع الشّمل، وتكثر العدد، وتعمّر الدار، وتعزّز الجانب، وأنهاكم عن معصية الله وقطيعة الرحم فإن معصية الله تعقب النار، وإن قطيعة الرحم تورث القلّة والذلّة، وتفرق الجمع، وتدع الدار بلا قع، وتطمع العدو، وتبدي العورة.

يا بني، قومكم، قومكم، إنه ليس لكم فضل عليهم، بل هم أفضل منكم، إذ فضّلوكم وسوّدوكم، ووطئو أعقابكم، وبلغوا حاجتكم فيما أردتم، فلهم بذلك حقّ عليكم وبلاء عندكم، ولا تؤدّون شكره، ولا تقومون بحقه، فإذا طلبوا فأطلبوهم، وإذا سألوا فأعطوهم، وإن لم يسألوا فابتدأوهم، وإن شتموا فاحتملوا لهم، وإن غشوا أبوابكم فلتفتح لهم، ولا تغلق دونهم.

يا بني، أي أحب للرجل منكم أن يكون لفعله الفضل على لسانه، وأكره أن يكون للسانه الفضل على

فعله.

يا بنيّ، اتقوا الجواب وزلّة اللسان، فإني رأيت الرجل يعثر قدمه فيقوم من زلته، فينتعش منها سويا، ويزل لسانه فيوفيه وتكون فيه هلكته، يا بنيّ، إذا غدا عليكم رجل وراح فكفى بذلك مسألة وتذكرة بنفسه، يا بنيّ، ثيابكم على غيركم أجمل منها عليكم، ودوابكم تحت غيركم أجمل منها تحتكم، يا بنيّ، أحيوا المعروف وافعلوه، واكرهوا المنكر واجتنبوه، وآثروا الجود على البخل، واصطنعوا العرب وأكرمهم، فإن العربي تعدد العدة فيموت دونك، ويشكر لك، فكيف بالصنيعة إذا وصلت إليه في احتمالها وشكرها، والوفاء منها لصاحبها؟.

يا بنيّ، سوّدوا أكابركم وأعزّوا ذوي أسنانكم تعظّموا بذلك، وارحموا صغيركم، وقربّوه، وأطفوه، وأجبروا يتيّمكم، وجودوا عليه بما قدرتم، وخذوا على أيدي سفهائكم، وتعهدوا جيرانكم وفقراءكم بما قدرتم عليه، واصبروا للحقوق، واحذروا عار عدوّكم عليكم في الحرب بالأناة والتؤدة في اللقاء، وعليكم بالتماس الخديعة في الحرب لعدوّكم، وإياكم والترقّ والعجلة، فإن لمكيدة والأناة والخديعة أنفع من الشجاعة.

واعلموا أن القتال والمكيدة مع الصبر، فإذا كان القضاء عند اللقاء، فإن ظفر امرؤ وأخذ بالحزم قال العاقل: قد أتى الأمر من وجه، وإن لم يظفر قال: ما ضيّع ولا فرط، ولكن القضاء غالب، فالزموا الحزم على أي الحالين وقع الأمر، والزموا الطاعة والجماعة، وإياكم والخلاف وفراق الجماعة، تواطأوا، وتوازرّوا، وتواصلوا، وتعاطفوا فإن ذلك يثبت المودة، وتحابّوا، وخذوا فيما أوصيكم به بالجدّ والقيام به تظفروا بدنياكم ما كنتم فيها وآخرتكم إذا صرتم إليها، ولا قوة إلا بالله، وليكن أول ما تبدءون به أنفسكم إذا أصبحتم، تعلموا القرآن والسنن والفرائض، تأدّبوا بأدب الصالحين من قبلكم، من سلفكم الصالح، ولا تقاعدوا أهل الدّعارة والريبة، ولا تخالطوهم، ولا يطمعن في ذلك منكم، وإياكم والخفّة في مجالسكم وكثرة الكلام، فإنه لا يسلم منه صاحبه، وأدّوا حق الله عليكم فإني قد أبلغت إليكم الوصية، واتخذت لله عليكم الحجة".

قال: وتوفّي الملبّ رحمه الله تعالى بمو الروذ بخراسان، فقال نهار بن توسعة:

ومات الندى والحزم بعد المهلب

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى

وقد غيبنا عن كل شرق ومغرب

أقام بمرّو الروذ رهن ثوابه

قالو: ثم ولى بعده قتيبة بن مسلم الباهليّ، فدخل عليه نهار بن توسعة، فقال له قتيبة: -أأنت القائل في المهلب، ألا ذهب الغزو؟ فقال: أنا الذي أقول:

ولا هو فينا كائن كابن مسلم

ما كان مذكناً ولا كان قبلنا

وأقسم فينا مغنماً بعد مغنم

أعم لأهل الشرك قتلاً بسيفه

فقال: إن شئت فأقلل، وإن شئت فأكثر، والله لا تصيب مني خيراً، يا غلام، حلّق على اسمه.

ولزم منزله حتى ولى يزيد بن المهلب خراسان، فأتاه نهار، فدخل عليه، وأنشأ يقول:

بكيت امرأً في المجد قد كان أوحداً

إن يك ذنبى يا قتيبة أننى

وغيث مغيات أطلعن التلّدا

أبا كلّ مظلوم ومن لا أبا له

إلى إذا أبقى يزيداً وخلدا

رف شأنك، إن الله إن سوت محسن

فقال له: احتكم.

قال: مائة ألف.

فأعطاه مائة ألف درهم.

ويقال: إن مخلد بن يزيد بن المهلب هو الذي أعطاه، لأن أباه قد كان قدّمه خليفة على خراسان، فكان يقول بعد موت مخلد: رحم الله مخلداً، ما ترك لي بعده من قول.

قالوا: وقدم قيس بن زهير على النمر بن قاسط بعد الهبأة ليقم فيهم، فقال: يا معشر النمر، أنا قيس بن زهير، غريب، حريب، فانظروا إلى امرأة قد أذلها الفقر وأدبها الغنى، لها حسب وجمال، فزوّجوها. فنظروا له امرأة على ما وصف، يقال لها "ظبية" ابنة الكيس النمرى.

فقال لهم: إني ل أقم فيكم، إني فخور غيور أنف، ولعلني أن لا أعار حتى أرى، ولا أفخر حتى أسمع، ولا أنف حتى أظلم.

فأقام حتى ولد له غلام، فسماه "خليفة" ثم بدا له أن يرتحل عنهم، فقال لهم: "إن لكم عي حقاً، وإني أوصيكم بخصال فاحفظوها، عليكم بالأناة فإن بها تنال الفرصة، وتسويد من لا تعابون بتسويده، والوفاء، فإن يعيش الناس، وإعطاء ما تريدون إعطاءه قبل المسألة، ومنع ما تريدون منعه قبل القسر، وإجلرة الجار على الدهر، وتنفيس المنازل عن بيوت الأيامي، وخلط الضيف بالعيال.

وأهاكم عن الرّهان فإني به أتكلت مالكا، وعن البغي فإنه صرع زهيرا، وعن السرف في الدماء، فإن قتل أهل الهبأة ألزمني العار، ولا تعطوا في الفضول فتعجزوا عن الحقوق، ولا تبيتوا بعراض الغدر، وإياكم وعورات الناس، ولا تردّوا النساء عن الأكفاء فإن لم تصيبوا الأكفاء فإن خير أزواجهن القبر، واعلموا أي

أصبحت ظالما مظلوما، ظلمي بنو بدر بقتل مالك، فقتلت من لا ذنب له.  
ثم قال:

إِنَّ يَوْمَ الْهَبَاءِ أَوْرَثَنِي الدُّلَّ  
فَأَصْبَحْتُ ظَالِمًا مَظْلُومًا  
كَانَ ظَلْمِي قَتْلَ سِرَاةِ بَنِي بَدْرٍ  
فَأَصْبَحْتُ بَعْدَهُمْ مَرْحُومًا  
فَخَضِبْتُ السَّنَانَ مِنْ ثَغْرِ الْقَوْمِ  
وَكَانُوا لِلنَّاطِرِينَ نَجُومًا  
كَانَ ثَارِي لِمَالِكِ بْنِ زَهِيرٍ  
وَاحِدًا كَانَ فِيهِمْ مَعْلُومًا  
فَقَتَلْتُ الْجَمِيعَ مِنْ حِذْرِ الثَّكَلِ  
لَقَدْ كُنْتُ فِي الدِّمَاءِ نَهْومًا  
كَانَ ظَلْمِي، وَكَانَ ظَلْمُهُمْ أَمْسٌ  
عَظِيمًا وَرَأْيُهُمْ مَوْصُومًا  
لَطَمَ الْقَوْمَ دَاخِسًا حِذْرَ السَّبْقِ  
لَقَدْ كَانَ دَاخِسًا مَشْتُومًا  
ظَلَمُونَا بِقَتْلِنَا وَظَلَمْنَا  
مَعْشَرًا كَانَ يَوْمَهُمْ مَحْتُومًا  
إِنَّ لِلنَّمْرِ فِي إِجَارَتِهَا الْجَارِ  
وَأَمَّنَ الطَّرِيدَ حَظًّا عَظِيمًا  
يَأْمَنُ الْجَارَ فِيهِمْ وَتَرَى وَسْطَهُمْ  
ذَا خُئُولَةَ مَعْمُومًا  
يَمْلَأُ الدَّلُوَ قَبْلَ دَلْوِ أَخِي النَّمْرِ  
وَمَا حَوْضَ جَارِهِمْ مَهْدُومًا

وصية مجاشع ذكروا أن مجاشع بن شريف، أو مخاسن بن معاوية بن شريف قل في حرب النعمان بن الشقيقة: "يا بني تميم، أقل الناس رحمة الملوك، إن الملوك ينكثون بالشقي السعيد، ومنجاة من ناوأ الملوك الصبر وكتمان السر، وأول الظفر الاجتماع، وأول البلاء الفشل، وآفة الكرم جوار اللئام، وقد غلب على الكرم من سبق إليه، احفظوا ألسنتكم يعم عدوكم كيدكم، إنه من كتم سره عمى كيده على عدوه".  
وصية أسيد بن أوس ذكروا أن أسيد بن أوس انطلق إلى الحارث بن الهبولة الغساني، وكان أسيد أخا معاوية بن شريف لأمه، وأمها ماوية بنت الرضا البارقي، يستمده في حرب ابن الشقيقة، فلما قدم عليه قال: "إنما يوثق في الشدة بذي القرابة، وبصفاء الإخوان، وبصدق أهل الوفاء، إن خير السجية ما لم يتكلف، وخير الأعوان على البخل السخاء، والعفو منتهى البر، الزم البر يترك بنوك، آخر الغضب وادفع بالإناة، وآخر الدواء الكي، وخير الثواب الشكر، وخطل القول غواية، ومنتهى البر الهوى، والصدق تمام المروءة، والكذب يفسد الفعال، وتصرف الأحوال بغير الرجال، وأغنى الخصال عن المادة العفاف، وخير السيرة العفو، وترك العقوبة يسئل السخيمة".  
وصية صيفي بن رياح ذكروا أن صيفي بن رياح أبا أكثم بن صيفي قال: "سلطانك على أخيك على

كل حال، فإذا أخذ السيف فلا سلطان لك عليه، وكفى بالمشرفية واعظا، وترك الفخر أبقى للثناء، وأسرع الجرم عقوبة البغي، وشر النَّصرة التعديّ، وآم الأخلاق أضيفها، ومن سوء الأدب كثرة العتاب، وقرع الأرض بالعصا". فذهبت مثلا.

وصية أبي جهم بن حذيفة العدويّ  
قال أبو حاتم، وحدثنا الثقة عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير اللخمي قال: جاء أبو جهم بن حذيفة العدويّ، وهو يومئذ ابن مائة سنة إلى مجلس اقريش فأوسعوا له عن صدر المجلس "وقائل يقول، بل كان عروة بن الزبير".

فقال أبو الجهم: يا بني أخي، أنتم خير لكبيركم من مهرة لكبيرهم.  
قالوا: وما شن مهرة وكبيرهم؟ قال: كان الرجل منهم إذا أسنّ وضعف أتاه ابنه أو ولّه فعقله بعقال، ثم قال: قم. فإن استتم قائما، وإلاّ حمله إلى مجلس لهم يجري على أحدهم فيه رزقه حتى يموت، فجاء شابّ منهم إلى أبيه، ففعل ذلك به، فلم يستتم قائما، فحمله، فقال: يا بنيّ، أين تذهب بي؟ فقال: إلى سنّة أباك. فقال: يا بني، لا تفعل، فوالله لقد كنت تمشي خلفي فما أخلفك، وأما شيك فما أبذك "أي أسبقك"، وأسقيك الدّواية "يعني اللبن" قائما.  
وكانت العرب إذا أسقى الغلام اللبن قائما كان أسرع لشبابه.  
فقال: لا جرم، لا أذهب بك.  
فاتخذته مهرة سنّة.

وصية أبي الأسود الدؤلي وأوصى أبو الأسود الدؤلي ابنته ليلة البناء بها فقال: "يا بنية، كان النساء أحق بأدبك مني، ولكن لا بد لي منه، يا بنية، إن أطيب الطيب الماء، وأحسن الحسن الحسن الدّهن، وأحلى الحلاوة الكحل، يا بنية، لا تكثري مباشرة زوجك فيمكك، ولا تباعدي عنه فيجفوك، ويعتل عليك، وكوني كما قلت لأمك:

**خذي العفو كمّي تستديمي مودّتي**      **ولا تتطقي في سورتني حين أغضب**  
**فإنّي رأيت الحبّ في الصّدّر والأذى**      **إذا اجتمعتا لم يلبث الحبُّ يذهب**

وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه قالوا: أوصى أبو بكر عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، فقال: "إنّ لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار، وعملا بالنهار لا يقبله بالليل، إنه لا يقبل نافلة حتى تؤدّي الفريضة، فإنه إنما ثقلت موازينه يوم القيامة بأتباعهم الحقّ، وثقله عليهم؛ ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق غدا أن يكون ثقيلًا، وإنما خفّت موازين من خفّت موازينه يوم القيامة أتباعهم الباطل في الدنيا وخفّته عليهم،

ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً؛ إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئهم، فإذا ذكرهم قلت إني أخاف ألا أكون من هؤلاء، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم، وتجاوز عن حسنهم، فإذا ذكرهم قلت إني لأرجو ألا أكون من هؤلاء، وذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً لا يتمنى على الله غير الحق، ولا يلقي يديه إلى التهلكة، فإن حفظت وصيتي فلا يكوننّ غائب أبغض إليك من الموت، ولست بمعجزه.

قالوا: وقال ابن داب، قالت أسماء بنت عميس: دخل عمر بن الخطاب على أبي بكر رضي الله عنهما في اليوم الذي قبض فيه.

فقال: يا عمر، صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت أثرته إيانا على أهله، ووالله إن كنا لنرسل إليهم من فضله ما يأتينا منه، وصحيتي ورأيتي، والله ما نمت فحلمت، ولا توهمت فشبه لي، وإني لعلی بصرة من رأى.

يا عمر، إن أول ما أحذرك به نفسك، فإن لكل نفس شهوة، فإذا أجابتها إليها دعيتها إلى ما هو أعظم منها، وأحذرك هؤلاء الرهط من المهاجرين، فإني قد رأيتهم طمحت أبصارهم، ونفخت أجوافهم، وتمنى كل امرئ منهم لنفسه، فاحملهم على الطريق الواضح يكفوك أنفسهم، واعلم أنهم لن يزالوا لك هائبين ما هبت الله عز وجل، فرقين منك ما فرقت منه. هذه وصيتي إياك، وأقرأ عليك السلام.

وصية عمر بن الخطاب، رضي الله عنه وذكروا عن قطر بن خليفة وغيره أن عمر بن الخطاب دعا عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، فقال: "أي بُني، إذا قام الخليفة بعدي فائته، فقل له، إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرئك السلام، ويوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له، ويوصيك بالمهاجرين والأنصار، أن تقبل من محسنهم، وتتجاوز عن مسيئتهم، ويوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنهم غيظ العدو وجباة الفياء، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم، ويوصيك بأهل البادية خيراً، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام، أن تأخذ من حواشي أموالهم فيردّ غلى فقرائهم، ويوصيك بأهل الذمة خيراً، أن تقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم.

وصية علي بن أبي طالب، رضي الله عنه

قال أبو حاتم، وحدوثونا عن أبي مخنف قال، حدثني عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال، دخلت على بن أبي طالب، رضي الله عنه، أسأل به لما ضربه ابن ملجم، فقامت قائماً، ولم أجلس لمكان ابنته، دخلت وهي مستترة، فدعا علي الحسن والحسين، رضوان الله عليهم، فقال: "أوصيكمما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء منها زوى عنكما، قولوا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضائع،

وأضيفا الجائع، وكونا للظالم خصما، وللمظلوم عوناً، ولا تأخذكما في الله لومة لائم.

ثم نظر إلى ابن الحنفية، فقال: -هل فهمت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم.

قال: أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك، وتزيين أمرهما، ولا تقطع أمرا دونهما.

وقال لها: أوصيكما به، فإنه شقيقكما، وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبّه، فأحبّاه.

وذكر آخرون عن إبراهيم بن أيوب الأسدي قال: حدثني عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن محمد بن عليّ قال: أوصى عليّ الحسن بن هلي رضي الله عنهم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب، أوصى أنه يشهد أن لا إله إل الله، وحده لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين.

وإني أوصيك يا حسن وجميع ولدي ومن بلغه هذا بتقوى الله ربكم، ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، فإني سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: صلاح ذات البين أفضل من عام الصيام والصلاة، انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون عليكم الحساب، والله في الأيتام، فلا تغيرنّ أفواههم بحضرتكم، والله، الله في الضعيفين، فإن آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال: أوصيكم بالضعيفين خيرا.

والله، الله في القرآن فلا يسبقكم بالعمل به غيركم، والله، الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم، والله، الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب ربكم عنكم، والله، الله في صيام رمضان فإن في صيامه حنة لكم من النار، والله، الله في الحج فإن بيت الله إذا خلا لم تناظروا، والله، الله في الفقراء والمساكين، فشاركوهم في معاشكم وأموالكم.

عليكم يا بني بالبر والتواصل والتبّار، وإياكم والتقاطع والتدابير والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم، صلى الله عليه وسلم. حدثنا أبو حاتم قال: وأخبرونا أن ابن ملجم خطب امرأة، وكان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ذكروا أنه قتل أخاها، فقالت: -أتزوجك على ثلاثة آلاف، وعبد، وقينة، وقتل علي بن أبي طالب.

فقال: لك الثلاثة آلاف، والعبد، والقينة.

فأبى أن يقتل لها عليّا.

فقالت: والله، لا أنكحك نفسي.

ثم جاد لها بعد بقتله.

فخرج، فضربه بسيفه في رأسه، فقتله، فقتل.  
ثم أتى به دار المرأة، فأشرفت وهم يحرقونه. فقالت:

ثلاثة آلاف وعبد وقينة

وقتل عليّ بالحسام المصمّم

فلا مهرَ أغلى من عليّ وإن غلا

ولا فتك إلاّ دون فتك ابن ملجم

قال: فلما غيَّبه الحسن بن علي، رضى الله عنهما، صعد المنبر، فجعل يريد الكلام، فتحنقه العبرة.  
"قال رجل: فرأيتك كذلك وأنا في أصل المنبر أنظر إليه، وكنت من أنزر الناس دمه، ما أقدر أن أبكي من شيء، فلما رأيت الحسن يريد الكلام، وحنقه العبرة" صرت بعد من أغزر الناس دمه، ما أشاء أن أبكي من شيء إلا بكيت.

قال: ثم إن الحسن انطلق، فقال، الحمد لله رب العالمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون، نحتسب عند الله مصابنا بأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإننا لن نصاب بمثله أبداً، ونحتسب عند الله مصابنا بخير الآباء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا إني لا أقول فيه الغداة إلا حقاً، لقد أصيبت به البلاد والعباد والشجر والدواب، فرحم الله وجهه، وعذب قاتله.  
ثم نزل، فقال: عليّ بابن ملجم.

فأتى به.

فيذا رجل واضح الجبين والثنايا، له شعر وارد "يعني طويلاً" يخطر به حتى وقف، فلم يسلم.  
فقال: يا عدو الله، قتلت أمير المؤمنين، وخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: يا حسن، دعني من كلامك هذا، هل لك في أمر أعرضه عليك، لا بأس لك به إن قبلته.  
قال: وما هو؟ قال: أسير إلى معاوية بالشام، عدوّ أبيك فأروم قتله، فإن قتلتك كنت قد قتلت أعدى الناس لكم، وإن لم أقتله فقتلت فأنا مقتول في كلتا الحالتين.  
قال: لا والله يا عدو الله حتى أنفذ فيك ما أمرني به أمير المؤمنين.

قال: وما الذي أمرك به أبوك؟ قال: جمعنا، فقال، يا بني، إياكم أن تخوضوا في دماء المسلمين، وأن تقولوا، قُتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلنّ فيّ إلا قاتلي، وضربة بضربة، فإياك يا حسن والمثلة، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عنها، ولو بالكلب العقور.

قال، يقول عبد الرحمن بن ملجم، والله إن كان أبوك ما علمنا لعدلاً في الرضى والغضب إلا ما كان منه يوم صقين، حين حكم في دين الله، أفشكّ أبوك، أي بُني، في دينه؟ فضربه ضربة، تلقاه بخصره، فقطعها.

ثم ضربه أخرى في الموضع الذي ضرب فيه أباه، فقتله.  
وحدثونا، أن معاوية رحمه الله عليه فخر يوماً والحسن جالس.  
فقال معاوية: أنا ابن بطحاء مكة، أنا ابن أغزرها جودا، وأكرمها جُدودا، أنا ابن من ساد قريشا فضلا،  
ناشيا وكهلا.

فقال الحسن رضي الله عنه، أعليّ تفتخر يا معاوية؟ أنا ابن عروق الثرى، أنا ابن مأوى التقي، أنا ابن من  
جاء بالهدى، أنا ابن من ساد الدنيا بالفضل السابق والحد الرائق والحيب الفائق، أنا ابن من طاعته طاعة  
الله، ومعصيته معصية الله، فهل لك أب كأبي تتباهى به، أو قديم كقديمي تساميني به؟ قل، نعم؛ أو، لا.  
قال: بلى أقول، لا، وهي لك تصديق.  
فقال الحسن:

### والقُ ذُو الألباب

### الحق أبلج ما يخيل سبيله

قال، وحدثونا عن أبي نعيم عن اسماعيل بن ابراهيم بن المهاجر قال: سمعت عبد الملك بن عمير قال،  
حدثني رجل من ثقيف قال: استعملني عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه على عكبرا، ولم يكن السواد  
يسكنه المصلون فقال لي بين أيديهم، استوف خراجهم منهم، فلا يجدوا فيك ضعفا ولا رخصة، ثم قال  
لي، رُح إليّ عند الظهر. فرحنا إليه، فلم أجد عليه حاجبا، يحجبني دونه، ووجدته جالسا وعنده قدح،  
وكوز ماء.

فدعا بظبيه "يعني جرابا صغيرا".

فقلت في نفسي لقد أمتني حين يخرج إليّ جوهرا، فإذا عليها خاتم.  
فكسر الخاتم، فإذا فيها، سويق.

فصبه في القدح، فشرب نته، وسقاني، فلم أصبر.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أتصنع هذا بالعراق؟ طعام العراق أكثر من ذلك.

فقال: إنما أشتري قدر ما يكفيني، وأكره أن يفنى فيضع فيه غيره، فإني لم أحتم عليه بُخلا عليه، وإنما  
حفظي لذلك، وأنا أكره أن أدخل بطني إلا طيبا، وإني قلت لك بين أيديهم الذي قلت لك لأنهم قوم  
خدع، وأنا أمرك الآن بما تأخذهم به إن أنت فعلت، وإلا أخذك الله به دوني، وإن بلغني عنك خلاف ما  
أمرك به عزلتك.

لا تبيعنّ لهم رزقا يأكلونه، ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا تضربنّ رجلا منهم سوطا في طلب درهم،  
فإننا لم نؤمر بذلك، ولا تبيعنّ لهم دابة يعملون عليها؛ إنا أمرنا أن نأخذ منهم العفو.

قال: إذن أجيئك كما ذهبت.

قال: وإن فعلت.

قال: فذهبت، فتتبع ما أمرني به، فرجعت، ووالله ما بقي درهم واحد إلا وقيته.

وصية معاوية رحمه الله عليه قالوا: وأخبروني أن معاوية لما حضرته الوفاة قال لابنه يزيد: "إني كفيتك الحل والترحال، أو قال الرّحل والترحال، ووطأت لك الأشياء، وذللت لك الأعزاء، وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك ما جمع واحد، فانظر أهل الحجاز، فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعهد من غاب عنك منهم، وانظر أهل العراق، فإن سألوك أن تعزل عنهم في كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أحب إليك من أن يشهر عليك مائة ألف سيف؛ وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، وإذا أصبت بهم عدوك فارددهم إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم.

وإني لست أخاف عليك من قريش إلا الحسين بن عليّ، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، رضي الله عنهم؛ فأما الحسين، فإن له رحماً وحقاً عظيماً، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإنني لو أتيت به عفوت عنه؛ وأما ابن عمر، فيقيده إيمانه؛ وأما ابن الزبير فخب، ضب، يجثم لك جثوم الأسد، ويروغ روغان الثعلب، فإن أمكنته الفرصة وثب، فإن فعلت فقدرت عليه أن تقطعه إرباً فافعل".

قال، وحدثونا عن ابن عياش المنتوف قال، لما حضر معاوية الموت، ويزيد ابنه غائب بيت المقدس، وقال آخرون، بل في الصيد، دعا معاوية مسلم ابن عقبة المرّيّ، والضّحّاك بن قيس الفهريّ، فقال: "أبلغا يزيد عني قولاً، قولاً له، انظر أهل العراق فإن سألوهم عزل عامل في كل يوم فاعزل عنهم، فإن عزل عامل أهون من أن يشهر عليك مائة ألف سيف، ثم لا تدري على ما أنت منهم، وانظر أهل الشام فاجعلهم الشعار والدثار، فإن رابك من عدوك ريب فارمهم بهم، فإن أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، ولا يقيموا في بلاد غيرهم، فيتأدّبوا بغير أدبهم.

إني لست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر، وحسين بن عليّ، وعبد الله بن الزبير، فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقده الورع، ولا والله، لا توتى من قبله، وأما حسين بن عليّ فأرجوا أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه، وأما ابن الزبير فإنه خب ضبّ، فإذا طلع فأثبت له، فقلّما مارس رجل مثله، فوالله لو قذفته في بحر مملوء زفتاً لخرج منه متملّساً" قال، فمات معاوية.

فقام الحاك بن قيس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "إن معاوية كان حدّ العرب، وفخر العرب، وهذه أكفانه، نحن مُدرجوه فيها، ومخلّون بينه وبين ربّه، فمن أراد حضوره فليحضر بعد الظهر".

فصلّى عليه الضحّاك بن قيس.

وقال ابن خريم الأسيدي:

بمقدار صمدن له صمودا

أتى الحدّثان نسوة آل حرب

وردّ وجوههّنّ البيض سودا

فردّ شعورهنّ السّود بيضا

وقال ابن الكلبي عن أبي عبد الرحمن المدني قال، لما حضر معاوية الموت جعل يقول:

عذابا لا طوق لي بالعذاب

إنّ تناقش يكنّ نقاشك يا ربّ

عن مُسيّ، ذوبه كالتراب

أو تجاوز فأنت ربّ رحيم

وأما ابن داب فقال، لما ثقل معاوية بعث إلى يزيد ابنه، وهو في بعض ضياعه، فأتاه غلام له، يقال له "عجلان" فأخبر بثقله، فأقبل، وقال في ذلك شعرا:

فأوجس القلب من قرطاسة جزعا

جاءَ البريد بقرطاس يخبّ به

قالوا، الخليفة أمسى مدنفا وجعا

قالوا، لك الويل، ما في كتابكم

كأنّ أغبر من أركانها انصدعا

فمادت الأرض أو كادت تميد بنا

توشك مقادير تلك النفس أن تقعا

من لا تزل نفسه توفى على شرف

لصوت رملة ريع القلب فانصدعا

لما انتهينا وباب الدار منصفق

فلما دخل على معاوية خلا به، وأخرج عنه أهل بيته.

فقال: يا بنيّ، قد جاء أمر الله، وهذا أوان هلاكي، فما أنت صانع بهذه الأمة من بعدي؟ فمن أجلك أثرت الدنيا على الآخرة، وحملت الوزر على ظهري لتعلو بني أيبك.

قال يزيد: أخذهم بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم، أخذهم به، وأقتلهم عليه.

فقال: أو لا تسير بسيرة أبي بكر الذي قاتل أهل الردّة، ومضى والأمة عنه راضون؟ قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيّه، أخذهم به، وأقتلهم عليه.

قال: أو لا تسير بسيرة عمر الذي مصّر الأمصار، وجنّد الأجناد، وفرض العطيّة، وجي النفيء، وقاتل العدو، ومضى والأمة عنه راضون.

قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة رسوله، أخذهم به، وأقتلهم عليه.

قال: أو لا تأخذ بسيرة عثمان عمك الذي أكل في حياته، وورث في مماته، واستعمل أقرابه؟ قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيّه، أخذهم به، وأقتلهم عليه.

قال: أو لا تسير بسيرة أيبك الذي أكل في حياته وورث بعد وفاته، واحتمل الوزر على ظهره؟ قال: لا إلا

بكتاب الله وسنة نبيه، آخذهم به وأقتلهم عليه.

قال: يا يزيد، انقطع منك الرجاء، أظنك ستخالف هؤلاء، جميعاً، فتقتل خيار قومك، وتغزو حرم ربك بأوباش الناس، فتطعمهم لحومهم بغير الحق فتدركك مرته فجأة، فلا دنيا أصبت ولا آخرة أدركت.

يا يزيد، إذا لم تصب الرشد وتطلع ذا الحق فإني قد أوطأت لك المناير، وأذلت لك أهل العز، وأخضعت لك رقاب العرب، وكفيتك الرحلة والترحال، وجمعت لك ما لم يجمع واحد، وإني لست أخاف أن ينازعك في هذا الأمر إلا ثلاثة نفر، الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير. فأما ابن عمر فرجل وقذته العبادة، وتخلّى من الدنيا وشغل نفسه بالقرآن، ولا أظنه يقاتل إلا أن يأتيه الأمر عفواً، وأما الذي يجثم جثوم الأسد، ويروغ وروغان الثعلب، وإن أمكنته فرصة وثب فابن الزبير، فإن هو فعل فاستمكنت منه فقطعه إرباً إرباً إلا أن يلتمس منك صلحاً، فإن فعل فاقبل منه، واحقن دماء قومك تقبل قلوبهم إليك، وأما الحسين بن علي فإن له رحماً وحقاً وولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه عليك، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإني لو كنت صاحبه لعفوت عنه.

وحدثونا، أنه كان عند معاوية خمسة رهط حين حضرته الوفاة، الضحاك ابن قيس الفهري، ومسلم بن عقبة المرّي، وثور بن معن السلمي، وزيايد بن عمرو ابن معاوية العقيلي، والنعمان بن بشير الأنصاري، فقال: "بلغوا يزيد عني السلام، وقولوا له، انظر أهل الحجاز فإنهم قومك وعشرتك، فأكرم من قدم عليك منهم، وصل من غاب، وانظر أهل الشام فإنهم جندك، فأكرمهم، وإذا هاجك هيج فارمه بهم، فإن فتح عليك فارددهم إلى بلادهم، فإنهم إن يسكنوا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم. وزعموا أنه كان يحوّل في مرضه الذي مات فيه، وهو يقول: إنكم لتحوّلون جسداً حولاً قلباً إن ينج من النار غداً فهو الرجل كل الرجل، وله يوم من ابن الأديب طويل "يعني حجراً وأصحابه". ثم أنشد:

**لقد جمعت لكم من جمع ذي حسب**      **وقد كفيتمك الترحال والنسبا**

وابن الأديب حجر بن يويد الكندي.

فلما مات معاوية، فدفن، دخل زياد بن عمرو العقيلي على يزيد، فقال: - يا أمير المؤمنين، مضى ابن أبي سفيان فرداً لشأنه، وخلفت، فانظر بعده كيف تصنع، أقمنا على المنهاج، واركب محجة السداد، فأنت المرتجي والمفزع.

فقال يزيد: لا حول ولا قوة إلا بالله، إياه أستعين، وعليه توكلت، ونعم الوكيل.  
وصية الربيع بن خثيم: وحدثونا عن إسرائيل قال، أوصى الربيع بن خثيم، وأشهد الله عليه، وكفى بالله شهيدا وجازيا لعباده الصالحين ومشيبا، أي رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً، وأني أرضى لنفسي ولمن أطاعني أن يعبد الله في العابدين، ويحمد الله في الحامدين وينصح لجماعة المسلمين.

وقال هرم بن حيان لما حضرته الوفاة، وقيل له، أوصِ.  
فقال: لا أدري ما أوصي، ولكن بيعوا درعي، فاقضوا ديني، فإن لم يف فيبيعوا فرسي، فإن لم يتم فيبيعوا غلامي، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل، ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، إلى... لهو خير الصابرين.

فقال قتادة: أوصي والله بجماع الأمر، ومن أوصى بما أوصى الله به فقد أبلغ.  
وصية عبد الملك بن مروان قالوا: لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة دعا بنيه، فأوصاهم، فقال: "يا بني، أوصيكم بتقوى الله، فإنها أحسن كهف، وأزين حلية، ليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير منكم حقَّ الكبير، وإياكم والاختلاف والفرقة، فإن بما هلك الأولون قبلكم، وذلَّ ذوو العدد والكثرة، انظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه، فإنه جنتكم الذي به تستجنون، ونائبكم الذي عنه تفترون، أكرموا الحجَّاج فإنه وطأ لكم المناير، وكونوا عند القتال أحرارا، وعند المعروف منارا، وكونوا بني أمّ بررة، إحلولوا في مرارة، ولنوا في شدة".

قال: ثم رفه رأسه إلى الوليد، فقال: يا وليد، لا أعرفنك إذا وضعتني في حفرتي تمسح عينيك وتعصرهما فعل الأمة، ولكن إذا وضعتني في حفرتي فشمّر وأتزر، والبس جلد النمر، ثم اصعد المنبر، فادع الناس إلى البيعة، فمن قال كذا، فقل كذا.  
وأوماً إليه، من قال: لا، فاقتله.

ثم بعث إلى خالد وعبد الله ابني يزيد بن معاوية فقال: - أعلان لم بعثت إليكما؟ - قال: نعم، يا أمير المؤمنين، لترينا عافية الله إياك.

- قال: لا ولكن لأسلكما، هل في أنفسكما من بيعة الوليد شيء، فأقيلكما.

- قال: معاذ الله يا أمير المؤمنين.

- قال: والله. لو قلتما غير ذلك لضربت أعناقكما.

فقاما، فخرجا.

فقال لبنيه، احفظوا هذه الأبيات عني:

انفوا الضغائن عنكم وعليكم  
بصلاح ذات البين طول بقائكم  
ولمثل ريب الدهر ألف بينكم  
حتى تلين قلوبكم وجلودكم  
إن القداح إذا جمعن فرامها  
عزّت فلم تكسر وإن هي بددت  
عند المغيب وفي حضور المشهد  
إن مدّ في عمري وإن لم يمدد  
بتراحم، وتواصل، وتودّد  
لمسزّد منكم وغير مسوّد  
بالكسر ذو حنق وبطش أيّد  
فالوهن والتكسير للمتدّد

فلما توفي عبد الملك سجّاه الوليد بثوبه، ثم سعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "لم أر مثلها مصيبة، فقد الخليفة ونيل الخلافة، فإنّا لله وإنا إليه راجعون على أعظم المصيبة، والحمد لله رب العالمين على أعظم النعمة".

ثم دعا الناس إلى البيعة، فبايعوه، ولم يختلف عليه أحد.

وصية الحجاج بن يوسف وحدثونا عن أبي عبد الرحمن التميمي عن سيف عن شيخ ثقيف قال في وصية الحجاج: هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف: "أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأنه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، ولا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا، غفرانك ربّنا، وإليك المصير، لا نفرّق بين أحد من خلفاء الله، ولا نتّهم الله في قضائه فيهم، هم لي أولياء، وأنا لهم وليّ في الدنيا والآخرة، من اتّهم الله على قضائه فيهم أو نكث عهده أو عصاه، أو خلع عطاء الله الذي ولّاهم فأنا لذلك عدوّ في الدنيا والآخرة، على هذا أحياء، وعليه أموت، وعليه أبعث، وبه أحاصم، وإن صلاة الحجاج ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت، وأنا أوّل المسلمين".

وصية رجل من أهل الشام قال أبو حاتم، وحدثونا عن أبي يعقوب عن ابن عمير -يعني عبد الملك- أن رجلا من أهل الشام أوصى ابنه عند موته، وذكر أنه بلغه أن معاذ بن جبل قال: "يا بني، أظهروا اليأس مما عند الناس فإنه غني، وإياكم وطلب الحاجات فإنه فقر حاضر، وإياكم وما يعتذر منه من القول والفعل، وإذا صلّيت يا بني فاسبغ الوضوء، وصلّ صلاة مودّع يرى أنه لن يثوب إلى أهله، فإن استطعت أن تكون اليوم خيرا منك أمس، وغدا خيرا منك اليوم فافعل".

وصية أبي عبيدة بن الجراح قال أبو حاتم، وحدثونا عن لوط بن يحيى عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق

عن سعيد بن أبي سعيد قال، لما طعن أبو عبيدة بالأردن -وبها قبره- دعا من حضره من المسلمين، فقال: "إني أوصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير وبعدها تهلكوا، أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا شهر رمضان، وحجُّوا، واعتَمروا، وتواصلوا، وانصَحوا لأمرائكم، ولا تبغضوهم، ولا تلهكُم الدنيا، فإن امرؤا لو عمر ألف حول ما كان له بدٌّ من أن يصير إلى مثل مصرعي هذا الذي ترون، إن الله قد كتب الموت على بني آدم، فهم ميِّتون وأكيسهم أطوعهم لربِّه، وأعلمهم ليوم معاده، والسلام عليكم".  
يا معاذ بن جبل، صلِّ بالناس.

فمات أبو عبيدة، فقام معاذ في الناس، فقال: يا أيها الناس، توبوا إلى ربكم من ذنوبكم توبة نصوحا، فإن عبدا يلقي الله تائبًا من ذنبه إلا كان حقا على الله أن يغفر له، ومن كان عليه دين فليقضه، فإن العبد مرتهن بدينه، ومن أصبح منكم مهاجرا أخاه فليصافحه، فإنه لا ينبغي للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، والذنب في ذلك عظيم.

أيها الناس، قد فجعتم برجل ما أرى أي رأيت عبدا من عباد الله قطُّ أبرأ صدرا منه، ولا أبعد منه غائلة، ولا أشد حبا للعافية، ولا أنصح للعامَّة منه، فترحّموا عليه، رحمة الله، واحضروا الصلاة عليه، رحمة الله عليه.

وصية معاذ بن جبل قال أبو حاتم، وحدثونا عن لوط بن يحيى قال، حدثني الصَّقْعَب بن زهير عن شهر بن حوشب قال: أتى آت معاذ بن جبل عند موته، فقال، أوصني بما ينفعني قبل أن تفارقني ولا أراك ولا تراني، ثم لعليّ أحتاج إلى سؤال بعدك فلا أحد فيهم مثلك.

فقال له معاذ: بل صلحاء الناس كثير بحمد الله، ولن يضيّع الله أهل هذا الدِّين، خذ عني ما أمرك به، وأوصيك به، "كن من الصامتين بالنهار، والمستغفرين بالأسحار، والذاكرين الله على كل حال، ولا تشرب الخمر، ولا تعقنَّ والديك، ولا تأكل مال اليتيم، ولا تفرَّ من الزحف، ولا تدع الصلاة المكتوبة، وصل رحمك، وانصح لجماعة المسلمين، وكن بالمؤمنين رعوفا رحيمًا، وأنا لك بالجنة زعيم".  
ومات رحمة الله عليه، وصلّى عليه عمرو بن العاص.

وصية عمر بن عبد العزيز قال أبو حاتم، حدثونا عن وصية عمر بن عبد العزيز قال، لما حضرت الوفاة عمر قبل له: اكتب يا أمير المؤمنين إلى يزيد بن عبد الملك فأوصيه بالأمر.  
قال، وبما أوصيه؟ إني لأعلم أنه من بني مروان.

ثم أمر بالكتاب إليه: "أما بعد، فاتق يا يزيد الصُّرعة على الغفلة، فلا تقال العثرة، ولا تقدر على الرجعة، وتترك ما تتركه لمن لا يحمدك، وترجع إلى من لا يعذرک".

قالوا: ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر في مرضه الذي قبض فيه، فقال: "إنك قد أفغرت ولدك من هذا المال، وتركتهم عالة لا مال لهم، وأنهم لا بدّ لهم مما يصلحهم فاوص بهم إليّ وإلى نظرائي من أهل بيتك نكفك مئوتهم".  
فقال عمر: أجلسوني.  
فأجلس.

فقال: يا مسلم بن عبد الملك، أما ما ذكرت أيّ قد أفغرت أفواه ولدي من هذا المال فتركتهم عالة لا مال لهم، فلم أمنعهم حقًا هو لهم، ولست معطيهم حقّ غيرهم؛ وأما ما سألت من الوصاة بهم إليك وإلى نظرائك من أهل بيتي فإنّ وصيّ فيهم ووليّ الله الذي نزل الكتاب، وهو يتولّى الصالحين.  
يا مسلمة بن عبد الملك، إنّما بنو عمر أحد رجلين، إما رجل اتقى الله فسيرزقه حتى يقبضه إليه، وإما رجل غدر وفجر فوالله لا يكون عمر أول من قواه على معصية الله، أدع لي بيّ.  
فدعوهم، وهم يومئذ اثنا عشر رجلا.

فجعل يصعدّ بصره فيهم، ويصوبه حتى اغرورقت عيناه، ثم قال: "هذا يزعم أيّ تركتكم عالة لا مال لكم، بل تركتكم من الله بخير، إنكم لا تمرّون بامرئ مسلم ولا معاهد إلّا ولكم عليه حق واجب، يا بيّ، إني ميّلت رأيي في الدنيا بين أن تفتقروا في الدنيا وبين أن أدخل الجنة، أو تستغنوا في الدنيا وبين أن أدخل النار، فكان أن تفتقروا في الدنيا إلى آخر يوم من الدنيا أحبّ إليّ من دخول النار طرفة عين، قوموا عصمكم الله، وورزقكم.  
ومسلمة يسمع.

حدثنا أبو حاتم قال، وحدثونا عن أبي بكر بن الضحّاك بن قيس الفهريّ قال: شهدنا مع سليمان بن عبد الملك جنازة رجل من قريش، فجلست قريبا منه، فأخذ حفنة من تراب، فقبض عليها، ثم أرسل أصابعه، وبسط كفّه والتراب فيها، ثم قال: "إن هذا المدفن طيب".  
قال: فوالله الذي لا إله غيره ما أتت له جمعة حتى دفنناه إلى جنب القرشيّ، ليس بينهما أحد.  
وصية سليمان بن عبد الملك.

حدثنا أبو حاتم قال: وحدثونا عن ابن عيّاش قال، أخبرني حصن، قال: كان سليمان غزا معنا الصائفة، فما رأينا رجلا كان أروع، ولا أحسن صلاة، ولا أكثر صدقة منه، قال، فوالله، إني لقاتم على رأس سليمان أذبّ عنه بمنديل، إذ تشمّم فوجد رائحة.  
فقال: اتتوني من هذا الخبز.

فأتوه بثلاثة أرغفة عظام من خبز الفريّ، فقال: - يا غلام، انطلق إلى المطبخ، فانظر، هل تصيب لي مخًا.

فانطلق، فنكت عظاما مما طبخ، ثم أقبل به في شيء.  
فلما رآه قال: ويلك، ما هذا؟.

فانصرف الغلام، فما ترك في المطبخ عظاما إلا نكته، ثم أتى به في صحيفة.  
قال: فوالله إن وضعه على "يعني:خوان" وما وضعه إلا على الأرض، فأكل تلك الأرغفة الحارة بذلك  
المخّ، ثم وثب، فدخل على أم سلمة بنت عمر ابن سهل، فما نزل عن بطنها إلا وهو مغشيّ عليه.  
فأقام يوما وليلة ثم أفاق، فقال: هو الموت، عليّ برجاء بن حيوة الكنديّ.  
وكان من أخصّ الناس به، فأتاه.

فقال: يا هذا، قد ترى ما نزل بي من الأمر، فما رأيك؟.  
قال: بل يرفع الله صرعتك يا أمير المؤمنين، ويعلي كعبك.  
قال: أيها الرجل، هو والله الموت.  
قال رجاء: ذلك ما كتب الله على الأنبياء قبلك، وإن نقض فيلى روح الله ورحمته إن شاء الله.  
فقال: ما شاء الله كان، ويفعل الله ما يشاء، من ترى لهذا الأمر يا رجاء؟ قال: ابنك داود.  
قال: كيف؟ وهو ابن أمّ ولد، وأهل بيتي لا يرون ذلك.

قال رجاء: فقلت عبيد الله بن مروان، رجل من أهل بيتك.  
قال: والله، ما يستنضج الكراع.  
قلت: فأخوك سعيد بن عبد الملك.  
قال: إن كانت أمّه لغالبة على رأيه.  
فذاكرته عمر بن عبد العزيز.  
قال: أعمار؟ قلت: نعم.  
قال: وكيف أصنع بوصية عبد الملك؟ فإنه أخذ عليّ وعلى الوليد أن آتينا بقي بعد صاحبه أن يعقد لابني  
عاتكة -يعني يزيد ومروان- .  
قلت: يا أمير المؤمنين، بنو أخيك بالباب.  
قال: أدخلهم، لا قرّبهم الله.  
قال: فدخل أربعة عشر من ولد الوليد، فسلموا عليه.  
فلما نظر إليهم قال: ألكم حاجة؟ قالوا: يسلمك الله يا أمير المؤمنين.

قال: إذا شئتم.

فلما وُلّوا قال:

أفلح من كان له ربيعون

إن بني صبية صيفيون

أفلح من كان له كبار

إن بني صبية صغار

قال رجاء: قلت يا أمير المؤمنين، قد أفلح من تزكّى، وذكر اسم الله فصلّى.

قال: نعم، أستغفر الله.

قال رجاء: يا أمير المؤمنين، فاعهد عهدا، وأشهد عليه.

ففعل.

فلم يلبث بعد ذلك إلا سبعة أيام حتى هلك.

قال: فخرج رجاء بالكتاب، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: "هذا عهد أمير المؤمنين".

فقال يحيى بن سعيد بن العاص: وما فيه؟ فنظر إليه رجاء نظرة تكاد تقتلعه من الأرض، وقال: وما أنت

والكلام؟ ثم تأوّل هذه الآية "وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها"؛ أي في عمرو بن سعيد وما كان منه.

فقال رجل ليحيى بن سعيد: مالك والكلام، والسيف يقطر دما؟.

قال: أردت أن استقري ما عند القوم.

قال هشام: لا الآن، فيه رجل من ولد عبد الملك.

فقال له رجاء: يا أحول، ما أنت والكلام؟ قال: ففضّ الكتاب بعد موت سليمان، فإنه فيه عمر بن عبد

العزیز، ويزيد ابن عبد الملك من بعده.

فسلم ولده ورضوا.

قال ابن عياش، وأخبرنا... الطلت مولى لبني أمية قال: ثم أقبل رجاء إلى عمر بن عبد العزيز، وهو في

المقصورة، فأخذ بيده، فجعل يتلكأ.

فقال له رجاء: إن الذي تصنع شرٌّ.

فقال عمر: إن هذا الأمر ما سألته الله في صلاة ولا سرّ ولا علانية.

فلما انصرف من الجنازة، وصلى على سليمان قلت، لأنظرن ما يصنع.

وكتب في الآفاق بردّ المظالم، وعزل أهل بيته عن الأعمال، وأظهر عزلهم، ورد مظالمهم، وكان مقامه

بدابق شهرين، ثم انصرف إلى منزله بدير سمعان، فلم يزل بها إلى أن توفي، رحمة الله عليه.

To PDF: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)